روايات مصرية للجيب

قضية الرجل الغامض

سلسلة الغاز بولسية مثيرة للشباب

مغامرات ع×٢

54

RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

٤×٢

سلسلة ألغاز بوليسية ، تجمع ما بين الغموض والإثارة والحركة ، وتسبح بنا - فى كل مرة - فى عالم جديد ، يسعى كل أبطاله - على اختلاف ألوانهم - إلى مكافحة الجريمة ، والسعى إلى تحقيق العدالة ، وجميعهم يحملون شعارًا واحدًا .. شعار (ع×٢)

د. نبيل فاروق

١ - الفساد ..

ساد هدوء تام أروقة وممرات مركز المعلومات الرئيسى ، فى شارع (قصر العينى) فى (القاهرة) ، على الرغم من النشاط الجم ، الذى يتسم به المكان ، والحركة التى لا تنقطع داخل حجراته ، وشعر نقيب مباحث أمن الدولة (عصمت فوزى) برهبة عجيبة ، وهو يتقدَّم إلى إحدى الحجرات ، ويطرق بابها فى رفق ، ثم يتوقَّف ليدير عينيه فى المكان ، ويستعيد بذهنه الأحداث العديدة ، التى اكتظت بها الساعات الثلاثين الأخيرة ، والتى دفعته إلى القدوم إلى مركز المعلومات ، بحثًا عن تفسير للغموض ، وإجابة لعشرات الأسئلة ، التى يلتهب بها عقله بلا هوادة :

كل شىء بدأ فى أثناء تغطية افتتاح واحدة من قرى الأطفال الحديثة ، التى يتمّ إنشاؤها ، فى مختلف أحياء (القاهرة) ..

كان كل شىء يسير على ما يرام ، عندما اشتعلت النيران فجأة فى المبنى .

وبينما ساد الهرج والمرج والذعر ، ظهر فجأة ذلك الرجل ..

رجل مجهول ، اندفع ينقذ الأطفال فى بسالة مدهشة ، أمام عدسات المصورين وكاميرات (التليفزيون) ، التى نقلت بطولته على نحو مثير رائع ..

ثم لقىَ الرجل مصرعه ..

مات ، بعد أن بهر الجميع ببطولته ، وحبس الأنفاس ببسالته ..

ولم يكد التليفزيون يعرض الفيلم ، حتى تحوَّل ذلك الرجل إلى أشهر بطل عرفته (مصر) ..

بل أشهر مجهول ..

فلقد أحيطت شخصية البطل الشهيد بموجة من الغموض لا مثيل لها ، خاصة وقد اختفت سترته ، مع كل أوراقه ، وكذلك سيارته ..

وبدأ (عصام كامل) وزميله ـ العميد سابقًا ـ (عادل محمود) فى محاولة البحث عن هوية ذلك البطل المجهول ..

ولم يكن ذلك سهلاً أبدًا ..

فما إن بدأت عملية البحث ، حتى تعرَّض (عصام) و (عادل) لمخاطر شتى ، أدت إلى إصابة الأخير برصاصة فى صدره ، أخرجته من العملية كلها ، ليبقى الأوَّل وحيدًا ، فى مواجهة الغموض والخطر ..

ثم بدأت الخيوط تتجمَّع ..

فى البداية ، وبعد نشر صورة للبطل ، فى برنامج (صباح الخير يا مصر) ، ظهرت السيِّدة (إيناس خالد) ، التى أكَّدت أن الصورة لزوجها رجل الأعمال (أشرف عبيد) ، ولكن فجأة ، استولى بعضهم على جثة البطل من المشرحة بأوراق زائفة ، تاركين بطاقة شخصية تحمل اسم (طارق عبد الجواد) ، الموظف بشركة للسياحة ..

وعاد الأمر يتعقَّد من جديد ..

وهنا لجأ (عصام) إلى (عصمت فوزى) ، وطرح عليه الأمر ، وحاول (عصمت) بالفعل التوصل إلى الحقيقة .

ولكنه ارتطم برؤسائه ..

وتم منعه من متابعة الأمر ..

وفى الوقت ذاته ، تعرَّض (عصام) لمحاولة قتل ، نجا منها بأعجوبة ، ليزداد مع (عصمت) اقتناعًا بأن ما يحدث عبارة عن قضية فساد كبرى ، تورَّط فيها عدد من المسئولين فى الدولة ..

وقبل أن يتخذ (عصام) أية إجراءات ، فوجئ باختفاء (عادل محمود) من قسم العناية المركَّزة بالمستشفى ، وبشخص يتصل به ، ويخبره أنهم يحتفظون بالعميد (عادل) ، وبأن عودته تعتمد على توقُّف (عصام) عن تتبُّع قضية أشهر مجهول ..

واستمرارًا لمسلسل الغموض ، استولى بعضهم على الفيلم الذى صوّره التليفزيون ، وعلى كل الصور والأفلام السلبية ، التى تحمل صورة البطل المجهول ..

وازداد اقتناع (عصام) بفكرة الفساد ، وقرّر طرح الأمر على أصحاب اللقب الأصلى ..

لقب (ع × ٢) ..

على (عماد) و (عُلا) ..

وعندما استعد (عصام) لاستشارة (عماد) و(عُلا) ، انقضّ عليه اثنان فى سيارة سوداء ضخمة ، بأقصى سرعتهما ..

ولأن (عصام) كان شارد الذهن ، فلم يتنبه إلى السيارة المنطلقة نحوه ..

وكان هذا يعنى أن فرص نجاته قد انخفضت إلى رقم مخيف ..

إلى الصفر(★)..

وعلى الرغم من أن (عصمت) لم يكن يعلم بما يتعرّض له (عصام) فى هذه اللحظات ، إلا أنه كان يشعر بتوتر عنيف فى أعماقه ، وهو ينتظر إجابة طرقاته على باب حجرة صديقه (فتحى عبد الله) ، رئيس قسم المعلومات المدنية ..

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (قضية أشهر مجهول) .. المغامرة رقم (٥٣) .

ولكنه لم يتلق جوابًا ..

وانعقد حاجبا (عصمت) ، وهو يتساءل عن سبب عدم وجود صديقه فى مكتبه ، على الرغم من أنه يعلم بقدومه ، و ...

« النقيب (عصمت) .. أليس كذلك ؟! »

التفت (عصمت) بحركة حادة إلى مصدر الصوت ، وألقى نظرة عدوانية متحفزة على الرجل الطويل ، العريض المنكبين ، الأشيب الشعر ، الذى يرمقه بدوره بنظرة صارمة متفحّصة ، بعينين امتزج سوادهما بلمعة قوية ، وسمعه يقول بلهجة قوية :

ـ أخبرنى الأمن أنك هنا .

سأله (عصمت) فى شىء من الحدة :

ـ تُرى لماذا أبلغوك ؟!

أجابه الرجل فى صرامة :

ـ لأننى مسئول الأمن هنا .. أيبدو لك هذا سببًا كافيًا ؟!

اعتدل (عصمت) ، وهو يجيب فى عصبية :

ـ بالتأكيد .

انتبه إلى عصبيته وحدته ، فالتقط نفسًا عميقًا ليسيطر عليهما ، قبل أن يتابع فى توتر أقل :

ـ إننى هنا لزيارة صديقى (فتحى) ، و ...

قاطعه مسئول الأمن فى حزم :

ـ للأسف ، الأستاذ (فتحى) ليس هنا .. إنه فى إجازة طويلة .

انعقد حاجبا (عصمت) فى شدة ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ إجازة طويلة ؟! مستحيل ! إنه ينتظرنى ، ومن غير الممكن أن يحصل على إجازة ، فى نفس الوقت الذى ..

قاطعه الرجل فى صرامة :

ـ ربما أبدل رأيه فى اللحظة الأخيرة .

قال (عصمت) فى غضب :

ـ اسمع يا هذا .. (فتحى) صديقى ، ومن المستحيل أن ينصرف من هنا ، ما دام فى انتظارى .

لوّح مسئول الأمن بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ لا شأن لى بعلاقات الأستاذ (فتحى) الشخصية .. كل ما أعلمه هو أنه حصل على الإجازة ، وغادر المركز دون أن يترك عنوان الجهة التى سيسافر إليها .

هتف (عصمت) :

ـ يسافر إليها .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة شديدة ، وهو يقول فى عنف :

ـ آه .. فهمت .. إنها لعبة قذرة جديدة ، لاعتراض سبيل العدالة .

صاح مسئول الأمن فى وجهه :

ـ حذار يا رجل .. ما تتفوّه به يهين المكان .

اتخذ (عصمت) وقفة قتالية ، وهو يقول بلهجة مستفزة :

ـ ومن أدراك أننى لم أتعمّد هذا ؟

انعقد حاجبا مسئول الأمن فى غضب ، وأشار بسبّابته ، فبرز أربعة من رجال الأمن من أماكن مختلفة ، وكأنهم ينتظرون إشارته ، وأحاطوا بـ (عصمت) بسرعة .

وأصبح من الواضح أن الموقف سيتحوّل إلى معركة عنيفة ..

للغاية ..

★ ★ ★

« احترس يا أستاذ (عصام) .. »

انطلقت الصيحة فجأة ، من أحد حراس مبنى الجريدة ، لتخترق أذنى (عصام) ، الذى انتفض من شروده فى عنف ، واستدار فى حركة حادة ، إلى السيارة الكبيرة القوية ، التى تنقضّ عليه فى شراسة ، كوحيد قرن ثائر ..

وفى السيارة ، هتف صاحب الصوت الخشن :

ـ اللعنة !.. لقد انتبه إلينا .

ومع هتافه ، وثب (عصام) مبتعدًا ..

وثب وثبة حادة ، عنيفة ، خلفية ، وارتطم بمقدّمة سيارة من سيارات الصحفيين ، التى تقف أمام مبنى الجريدة ، فسقط فوقها ، وتدحرج عنها ، فى نفس اللحظة التى انحرفت فيها السيارة الكبيرة نحوه ،

وارتطمت بالسيارة الأخرى فى عنف ، محطمة جانبها الأيسر بأكمله ، وملقية (عصام) عن مقدمتها ، ليسقط عند جانبها الأيمن ، ويتدحرج مرة أخرى أرضًا ..

وفى غضب ، صاح غليظ الملامح :

ـ لقد نجا .. ذلك الصحفى اللعين نجا .

هتف به خشن الصوت فى عصبية :

ـ ابتعد يا رجل .. انطلق بأقصى سرعة .

أطلق غليظ الملامح سبابًا ساخطًا ، وهو يميل بسيارته إلى اليسار ، وينطلق محاولاً الفرار ، فى نفس اللحظة التى هبّ فيها (عصام) واقفًا ، واندفع نحو السيارة الكبيرة ، صائحًا :

ـ لا تسمحوا لهما بالفرار .. لقد حاولا قتلى .

ومع صيحته ، استلّ اثنان من حراس المبنى مسدسيهما ، وانطلقا بدورهما خلف السيارة ، التى اعترضها زحام الطريق ، عند أوّل إشارة مرور ، فاحتقن وجه صاحب الصوت الخشن ، وهو يدفع الباب المجاور له ، هاتفًا فى عصبية شديدة :

ـ أسرع يا رجل .. فلنبادر بالفرار ، قبل أن يلحقوا بنا .

انتزع غليظ الملامح مسدسًا ضخمًا من حزامه ، وهو يهتف :

ـ سيكون من سوء حظهم أن يفعلوا .

صاح به الآخر ، وهو يعدو مبتعدًا بأقصى سرعته :

ـ أيها الغبى .

ولكن غليظ الملامح وثب خارج السيارة ، حاملاً مسدسه القوى ، وصاح وهو يلوّح به فى وجه (عصام) بخشونة ثائرة :

ـ حذار أن تقترب ، وإلا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، وثب (عصام) نحوه ، وأمسك معصمه ، هاتفًا فى غضب :

ـ وإلا ماذا ؟!

تحرّك الرجل بسرعة مدهشة ، تشفّ عن تلقيه لتدريبات مكثفة ، فى فنون القتال ، ولكَمَ (عصام) لَكْمَة عنيفة فى معدته بيده اليسرى ، ثم تحرّك جانبًا ، وكال له لَكْمة أخرى ساحقة فى فكه ..

ودار رأس (عصام) فى عنف ، وأفلت معصم الرجل على الرغم منه ، فأطلق الرجل ضحكة وحشية ساخرة عصبية ، وصوّب إليه مسدسه ، هاتفًا :

ـ وإلا قتلتك أيها المتحذلق .

كانت سبّابته تهمّ بضغط الزناد بالفعل ، عندما صاح به أحد الحارسين :

ـ توقّف يا هذا .

استدار الرجل إلى الحارس بسرعة كبيرة ، وأطلق نحوه رصاصة مباشرة ، أصابته فى كتفه ، وألقت به

أرضًا ، وسط صراخ المارة ، والهرج والمرج اللذين سادا الشارع والمنطقة كلها ، فوثب الحارس الآخر إلى الأمام ، وأطلق رصاصاته نحو الرجل ..

وفى هذه المرة ، كانت الرصاصات تعرف هدفها جيدًا .

وأصابته بمنتهى الدقة ..

وأمام عيون الجميع ، اخترقت الرصاصات صدر الرجل ، فجحظت عيناه بشدة ، وتمتم فى غضب يموج بالألم والسخط :

ـ اللعنة !

ثم هوى إلى جوار (عصام) جثة هامدة ..

وفى بطء ، ووسط حالة الذعر ، التى سادت المكان ، نهض (عصام) يحدّق فى جثة الرجل ، وسؤال ملحّ يدق خلايا مخه فى عنف ..

لماذا يحدث كل هذا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

★ ★ ★

« من الواضح أن ذلك البطل المجهول لم يكن شخصًا عاديًا .. »

نطق العقيد (خيرى) العبارة فى اهتمام شديد ،

وهو يجلس مع (عصام) ، فى حجرة ولديه (عماد) و (عُلا) ، ولوّح بذراعه كلها ، قبل أن يضيف :

ـ وإلا ما قامت الدنيا ولم تقعد ، لمجرَّد أنك تسعى لمعرفة اسمه وهويته .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة صامتة ، دون تعليق ، فى حين قال (عصام) فى عصبية واضحة :

ـ بل الأمر أخطر مما يمكن تصوّره يا سيادة العقيد ، فالذين يسعون لإخفاء حقيقته لم يكتفوا بمحو كل ما يمكن أن يرشد إليه ، وسرقة جثته ، واختطاف (عادل) من المستشفى فحسب ، وإنما تجاوزوا هذا إلى محاولة قتلنا ، وهو وأنا ، ومن حسن حظى أن محاولتهما فشلتا معى ، ومن سوء حظ (عادل) أن محاولتهما كادت تفلح معه .. ومن يدرى ؟ ربما تخلّصوا منه بالفعل الآن .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة صامتة أخرى ، قبل أن تغمغم الأخيرة :

ـ لست أعتقد هذا .

التفت إليها (عصام) ، قائلاً فى انفعال :

ـ ولِمَ لا ؟! لقد حاولوا قتله بالفعل من قبل ، واختطفوه فقط لإبعاده عن مكتبى بالجريدة ، حتى يمكنهم الاستيلاء على الصور الخاصة بالرجل ، وربما على عمّ (توفيق) نفسه ، والآن لم تعد بهم حاجة إلى وجوده على قيد الحياة .

تنهَّد (عماد) ، قائلاً :

ـ هذا قد يبدو صحيحًا ، لو أن الذين اختطفوا العميد (عادل) ، هم أنفسهم الذين حاولوا قتلك مرتين .

انعقد حاجبا (عصام) ، وهو يسأله فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (عماد) فى ثقة ورصانة ، تفوقان سنوات عمره بكثير :

ـ أعنى أنك لا تواجه جهة واحدة يا أستاذ (عصام) ، وإنما جهتين .

تراجع هاتفًا فى دهشة وانبهار :

ـ جهتين ؟!

أجابته (عُلا) :

ـ نعم يا أستاذ (عصام) .. كل ما حدث يشير إلى هذا فى وضوح ، فلقد واجهت رجلين ، اكتفيا بإفقادك الوعى ، دون الإساءة إليك ، أو حتى محاولة التخلُّص منك ، ثم حاول آخران بعدها قتلك ، وبمنتهى الشراسة ، وعند اختطاف العميد (عادل) ، طلب المختطفون منك انتظارهم عند برج (القاهرة) ، وعندما ذهبت إلى هناك ، لم يحاول مخلوق قتلك ، أو حتى إصابتك ، حتى عدت إلى الجريدة ، وهنا تعرَّضت لمحاولة قتل عنيفة ،

فى وسط الطريق .. أسلوب مزدوج متناقض فى التعامل والمواجهة ، لا يمكن أن يصبح منطقيًا ، إلا لو كنت تواجه فئتين ، إحداهما تسعى لقتلك بلا رحمة ، والثانية تفكِّر فى إبعادك عن الأمر فحسب ، دون الإساءة إليك فعليًا .

عاد حاجبا (عصام) يلتقيان بشدة ، وهو يفكِّر فيما سمعه من (عماد) و (عُلا) ..

لقد لقى استنتاجهما صدى حقيقيًا فى أعماقه ..

نعم .. إنه يواجه فئتين ..

ولكن لماذا ؟!

ومن الذين يواجههم بالضبط ؟!

وما الذى يسعون إليه ؟!

لم يحتمل دوران الأسئلة فى رأسه ، فنقلها إلى لسانه ، ليطرحها على (عماد) و (عُلا) ، فتبادل الاثنان نظرة جديدة صامتة ، قبل أن تقول (عُلا) :

ـ المعلومات التى منحتنا إياها ، لا تكفى للوصول إلى الحقيقة كلها يا أستاذ (عصام) ، ولكن من الواضح أن ذلك المجهول ، أيًا كان اسمه ، كان شخصًا يرتبط عمله أو مهنته بتعدُّد الشخصيات ، وهذا يعنى أنه إما نصَّاب دولى ومجرم بالغ الخطورة ، أو ...

أسرع (عماد) يكمل :

ـ أو رجل أمن .

انتفض جسد (عصام) فى عنف ، مع العبارة الأخيرة ، واشترك مع العقيد (خيرى) فى نظرة تفيض بالدهشة ، وهما يحدقان فى وجهى (عماد) و(عُلا) ..

فقد كانت تلك الفكرة الأخيرة مباغتة ومدهشة ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

استفز أسلوب مسئول أمن مركز المعلومات ، وظهور مساعديه الأربعة ، مشاعر (عصمت) بشدة ، فتحفَّزت عضلاته كلها للاشتباك معهم ، واستعراض مهاراته المختلفة ، و ...

ولكن فجأة ، قفز تساؤل إلى ذهنه ..

ماذا لو أن هذا ما يسعون إليه بالضبط ؟!

أن يشتبك معهم ، ويتجاوز حدوده المهنية ، و ...

ويقع تحت طائلة القانون ..

ماذا لو أنها خطة محكمة ، من شبكة الفساد الكبرى ، لإزاحته عن طريقها ، وإخراجه من اللعبة على نحو قانونى ؟!

انتفض جسد (عصام) فى عنف ، مع العبارة الأخيرة ، واشترك مع العقيد (خيرى) فى نظرة تفيض بالدهشة ..

لم تكد الفكرة تستقر فى رأسه ، وتجد صدى فى كيانه ، حتى تراخت عضلاته المتحفزة ، وانحلّت عقدة حاجبيه ، وارتسمت بدلاً منها ابتسامة واسعة على شفتيه ، وهو يقول :

ـ كلاّ .. لست أظننى أميل إلى القتال فى الوقت الحالى .

التقى حاجبا مسئول الأمن فى حدة ، وكأنما لم يرق له رد الفعل الهادئ هذا ، مما جعل (عصمت) يتيقّن من نظريته ، ويكمل فى شىء من السخرية :

ـ إننى أفضّل الانصراف على نحو قانونى .

قالها ، وهو يتجه نحو مسئول الأمن ؛ ليتجاوزه إلى المصعد ، ولكن الرجل اعترض طريقه ، قائلاً فى غضب :

ـ أتعتقد أنه من الممكن أن يمضى الأمر بهذه السهولة ؟!

توقّف (عصمت) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ كلاّ .. لست أعتقد هذا بالتأكيد .

ثم انحنى ليعبر أسفل ذراع الرجل ، الممدودة نحوه ، ويندفع نحو المصعد ، مكملاً فى سخرية :

ـ سيحتاج بعض الجهد على الأقل .

صاح مسئول الأمن فى رجاله غاضبًا :

ـ أوقفوه .

اندفع الرجال الأربعة نحو (عصمت) ، الذى بلغ المصعد بالفعل ، وضغط زر استدعائه ..

ولم يكن لديه ما يكفى من الوقت لتجنّب الاشتباك ..

لذا فقد أدرك أنه لا مفرّ من المواجهة ..

مهما كان الثمن ..

وفى مرارة ، استدار يواجه خصومه الأربعة ، متخذًا وضعًا قتاليًّا متحفزًا ، واستعد ، و ...

« ماذا يحدث هنا ؟! »

انطلق السؤال بغتة فى المكان ، بلهجة صارمة للغاية ، وعلى نحو تجمّد له الجميع لحظة ، كما لو كانوا صورة ثابتة ، على شاشة سينما ، قبل أن ينعقد حاجبا مسئول الأمن فى شدة ، ويلتفت (عصمت) إلى مصدر الصوت ، هاتفًا :

ـ سيادة اللواء ؟!.. ما الذى أتى بك هنا ؟!

كانت مفاجأة حقيقية له ، أن يلتقى برئيسه فى هذا المكان ، حتى إنه نسى قواعد اللياقة وآداب المهنة ، وهو يلقى عليه سؤاله فى دهشة فظة ، فانعقد حاجبا

اللـواء ، وهـو يديـر عينيـه إلـى مسـئول أمـن مركـز المعلومات ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

ـ لقد تجاوزت الحد المسموح به ..

ارتبك مسئول الأمن ، وهو يغمغم :

ـ لقد تصوَّرت أن .. أن ..

قاطعه اللواء بإشارة صارمة من يده ، قائلاً :

ـ فليكـن .. مهمتـك انتهـت هنـا .. اجمـع رجـالك ، وانصرف .

تـابع (عصمـت) ذلـك الحـوار فـى دهشـة عارمـة ، وهو ينقل بصـره بين الرجلين ، وتسـاءل فـى عصبيـة عن العلاقة ، التـى تربـط رئيسـه بمسـئول الأمـن هـذا ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتابع انصراف هذا الأخير مع رجاله ، قبل أن يلتفت إلى رئيسه ، الذى أشار إليه ، قائلاً فى غضب :

ـ لماذا تصرّ على تعقيـد الأمـور أيهـا النقيـب ؟! لقد أمرتك بترك هذه القضية تمامًا ..

وعلى الرغم من فارق الرتب الضخم ، قال (عصمت) فى حدة :

ـ لماذا ؟!.. لماذا أمرتنى بهذا يا سيِّدى ؟! مـا السر الغامض ، الذى يكمن خلف ذلك الرجل ، والـذى جعلـك تأمرنى بالابتعاد عن القضية ؟!

ازداد انعقاد حاجبى اللواء بضع لحظـات ، إلا أنـه لـم يلبث أن هزَّ رأسـه فـى بطء ، واسـتغرق فـى التفكـير لثوان ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً :

ـ ما الذى يدور فى رأسك أيها النقيب ؟!

أجابه (عصمت) فى عصبية :

ـ الكثير .. الكثير يا سيادة اللواء .

سأله اللواء فى اهتمام شديد :

ـ كيف يبدو لك الأمر ؟!

اعتدل (عصمت) ، وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يجيب :

ـ أشبه بقضيـة فسـاد كـبرى ، تـورَّط فيهـا عـدد مـن كبار مسئولى الدولة .

ارتفع حاجبا اللواء فى دهشة حقيقية ، وهـو يهتـف مستنكرًا :

ـ قضيـة فسـاد ؟! ما الذى وضع هذه الفكرة العجيبة فى رأسك ؟!

أشار (عصمت) بيده ، قائلاً :

ـ كـل شىء .. كـل شىء يدفع الفكرة فى رأسى أكثر وأكـثر .. ذلـك المجهـول ، الـذى يقـاتل الجميـع لحجـب اسمه وهويتـه ، وكأنمـا يكفـى كشـفهما لانـدلاع الحـرب العالمية الثالثـة ، والعراقيل التى يتم وضعها ، وبعنف ،

أمام كل من يسعى للعكس ، وقيام عدد من كبار المسئولين بهذا شخصيًا .

ثم صمت لحظة ، رمق رئيسه خلالها بنظرة نارية ، قبل أن يضيف :

ـ وعلى رأسهم أنت يا سيادة اللواء .

تطلّع إليه اللواء لحظات ، بوجه جامد ، خال من أية انفعالات ، ثم لم يلبث أن غمغم فى هدوء عجيب :

ـ من الواضح أن أعماقك تشتعل بشدة أيها النقيب ، ولكن تاريخك فى الإدارة ، وملفك النظيف ، يشجعاننى على اتخاذ قرار فردى ، على مسئوليتى الخاصة .

ثم أمسك ذراعه ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، مستطردًا :

ـ سأشرح لك ما يحدث .

وخلال الدقائق العشرين التالية ، لم ينبس (عصمت) ببنت شفة ، مكتفيًا بدور المستمع ، وأذناه تتلقيان معلومات جديدة مدهشة ..

معلومات قلبت الأمور كلها رأسها على عقب ..

وبمنتهى العنف .

★ ★ ★

٢ ـ البعث ..

لم تفارق الفكرة ، التى طرحها (عماد) و (عُلا) رأس (عصام) لحظة واحدة ، منذ غادر منزلهما ، وحتى عاد إلى مبنى الجريدة ، فى التاسعة والنصف مساءً ..

أمن الممكن حقًا أن يكون ذلك المجهول رجل أمن ؟!

ولو أنه كذلك ، فلماذا يبذل الجميع كل هذا الجهد لإخفاء هويته ؟!

وما الجهتان ، اللتان تسعيان لهذا ؟!

إنه أكثر ميلاً لتصديق كونه رجل عصابات ..

هذا يتفق مع كل ما يحدث حوله ..

وحتى مع فكرة قضية الفساد ..

من الممكن أن يتغلغل رجل عصابات دولى فى الأوساط الحكومية أو السياسية ، ويصنع كل هذا الفساد ..

ولكن من المستحيل أن يفعل رجل أمن هذا ..

انتقل ذهنه بغتة ، ودون ترتيب منطقى إلى العميد (عادل) ، الذى اختطفه هؤلاء المجهولون ..

تُرى ما الذى فعلوه به ؟!

أما زالوا يحتفظون به على قيد الحياة ، أم ... ؟!

لم يستطع استيعاب فكرة مصرعه ، وسرى توتر عنيف فى عروقه ، لمجرّد أن جالت الفكرة برأسه ، ووجد نفسه يغمغم محنقًا :

ـ آه لو مسّوا شعرة واحدة من رأسه .. أقسم أن أمزّقهم جميعًا إربًا ..

تجمّعت فى عينيه دمعة كبيرة ، وهو يستعيد ذكرياته مع العميد (عادل محمود) ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا .. لن يؤذوه الآن .. إنه مازال ورقتهم الرابحة .

ولكنه تذكّر أن الرجل مصاب ، ويحتاج إلى عناية طبية مكثفة ، لن يوفّرها له أولئك المختطفون حتمًا ، فهتف بكل غضبه وحنقه :

ـ يا للأوغاد !

كان يشعر بمرارة لا حد لها فى أعماقه ، لعجزه عن القيام بأيّة خطوة إيجابية ، فعضّ على شفتيه قهرًا ، وعاد يفكّر فى أمر ذلك المجهول ..

تُرى من هو ؟!

وكيف يمكن التوصّل إليه ؟!

عاد الغضب يجتاح نفسه ؛ لأنهم نجحوا فى الاستيلاء على كل صور ذلك المجهول ، وكل الأفلام السلبية ، وحتى فيلم التليفزيون ..

لم يتركوا له سوى تلك الصور ، المنشورة فى الجريدة ، والتى يستحيل تكبيرها ، للحصول على صورة واضحة للرجل ، يمكنه استغلالها للاستعلام ، وجمع بعض التحريات عنه ..

ظلت أفكاره تنتقل من نقطة إلى أخرى فى توتر ، حتى بلغ مكتبه فى الجريدة ، ودخله فى اندفاع أدهش زملاءه ، وهو يسأل :

ـ ألم يعد عم (توفيق) بعد ؟!

هزّت زميلته رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ كلاّ .. لم يعد ، ولكنه بخير .. اطمئن .

سألها فى شىء من الحدة :

ـ وكيف علمت أنه بخير ، ما دام لم يعد بعد ؟!

أجابته فى بساطة ، وهى تواصل عملها :

ـ لقد اتصل برئيس التحرير بنفسه ، وطلب إجازة طويلة .

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة وارتياع ، وهو يقول :

ـ إجازة طويلة ؟! هكذا ، فجأة ؟!

هزّت كتفيها فى لا مبالاة ، مجيبة :

ـ لكل شخص ظروفه الخاصة .

مطّ شفتيه معترضًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ودارت الأفكار فى رأسه بسرعة الصاروخ ..

إذن فقد سيطروا على عم (توفيق) أيضًا ..

إنهم يسعون جاهدين لعزله تمامًا ..
أو لعزل القضية ..
ماذا يريدون بعد أن استولوا على كل شىء ؟!
هل سيمحون الرجل من الوجود ، وكأنه لم يكن ؟!
هل سيشطبون اسمه من سجل المخلوقات ؟!
هل ؟
توقّف ذهنه بغتة ، عند هذه النقطة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ووجد نفسه يقفز هاتفًا :
ـ يا إلهى !.. اسمه .. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟
صرخت زميلته مذعورة ، لرد فعله المباغت ، وهتفت غاضبة :
ـ أستاذ (عصام) .. لقد أفزعتنى بحق .
لم يبد حتى أنه سمعها ، وهو يطلق ضحكة عالية ، هاتفًا :
ـ اسمه .. لقد أفلت منهم أحد الخيوط .. لن يمكنهم محو اسمه تمامًا .
حدّقت زميلته فى وجهه بدهشة ، مغمغمة :
ـ أستاذ (عصام) ؟! ماذا أصابك ؟!
قهقه ضاحكًا مرة أخرى ، على نحو عصبى ، قبل أن يقول :
ـ هؤلاء الأوغاد أجادوا لعبتهم إلى حد الإتقان ، ولكنهم لم ينتبهوا إلى أن للرجل عدة أسماء .

عادت تحدّق فى وجهه بدهشة أكبر ، قائلة :
ـ أوغاد وأسماء ؟! عم تتحدّث بالضبط ؟!
اندفع يغادر المكتب ، هاتفًا :
ـ لا عليك .. لا تقلقى نفسك بالأمر .. كل شىء سيسير على ما يرام .
فغرت زميلته فاها ذاهلة ، قبل أن تهزّ رأسها ، مغمغمة :
ـ مجنون !
وعادت تؤدى عملها بنفس الهدوء واللامبالاة ..
أما (عصام) ، فقد استقلّ مصعد المبنى إلى الطابق الأرضى ، ولم يكد يبلغه ، حتى اندفع يستوقف أوّل سيارة أجرة مرّت أمامه ، ويهتف لسائقها بالعنوان الذى يتجه إليه ..
ومن بعيد ، غمغم سائق سيارة صغيرة :
ـ ها هو ذا .. من الواضح أنه ليس فى طريق العودة إلى منزله ، فقد بدا ملهوفًا أكثر مما ينبغى .
أجابه زميله فى هدوء ، وهو يشير إليه بالانطلاق خلف (عصام) :
ـ بالتأكيد .. ملفه يقول : إنه من النوع الذى لا يهدأ أبدًا ، مادام أمامه لغز غامض .
انطلق الأوّل بالسيارة ، وهو يسأل :
ـ إلى أين يذهب فى رأيك ؟
صمت الثانى بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حسم :

ولم يكد يبلغه ، حتى اندفع يستوقف
أول سيارة أجرة مرَّت أمامه . .

ـ لو أنـه بالذكـاء الـذى توقعنـاه ، فلـن يكـون أمامـه سوى مكان واحد يذهب إليه .

أومأ الأوَّل برأسه ، موافقًا ومتفهمًا ، قبل أن يغمغم :

ـ بالطبع .

ولم يتبادل الرجلان بعدها المزيد من الحديث ، وإنمـا انطلقـا بسـيارتهما خلـف سـيارة الأجـرة ، التـى تقـلّ (عصام) ..

وبمنتهى الحرص والبراعة ، و ...

والدقـة ..

★ ★ ★

جلس السيِّد (ف) خلف مكتبه ، يستمع فـى اهتمـام شديد إلى أحد مساعديه ، وهو يقول :

رجلانا يتوقعان أنه سيذهب لزيـارة السيِّدة (إينـاس خالد) ، وسيحاول الحصول منها على صورة لزوجها ؛ ليجرى بوسـاطتها تحرياتـه ، فلـم يعـد لديـه مصـدر للحصول على صورة الشخص المطلوب سواها .

تنهَّد السيِّد (ف) ، قبل أن يغمغم :

ـ عظيم .. هذا ما كنا نسعى إليه بالضبط .

ثـم نهـض مـن خلـف مكتبـه ، واتجـه نحـو النـافذة ، ووقـف عـاقدًا كفيـه خلـف ظهـره ، يتطلَّـع عبرهـا بضـع لحظات ، قبل أن يتابع :

ـ ما دام سيستخدم صورة من صور (أشرف عبيد) ، فلم تعد لدينا مشكلة .. اتركوه يحصل عليها ويستخدمها ، فهى ستختلف حتمًا عن الصور الأصلية لرجلنا .

غمغم مساعده :

ـ بالتأكيد .

وصمت لحظة مترددًا ، ثم سأل فى اهتمام :

ـ قل لى يا سيِّدى : لماذا لا نصارح الصحفى بالأمر ، ونطالبه بالعمل لحسابنا .

هزَّ السيِّد (ف) رأسه فى صرامة ، قائلاً :

ـ الحياة علمتنى ألا أثق قط بصحفى ، فعمله لا يعتمد فقط على جمع المعلومات ، وإنما على نشرها أيضًا ، ومعظمهم لا يطيق كتم الأسرار المهمة فى صدره طويلاً .

وصمت ثانية واحدة ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ ثم إنه يعمل لحسابنا الآن بالفعل ، وبحماس طبيعى ، لا يمكنه افتعال مثله ، حتى ولو كان أبرع ممثل فى الدنيا كلها ، فلماذا نُفسد كل هذا إذن ؟!

وعاد ليجلس خلف مكتبه فى هدوء ، مستطردًا :

ـ دعه يمضى فى طريقه يا رجل .. هذا أفضل للجميع .

أومأ المساعد برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ فليكن يا سيِّدى .. سنمضى فى الخطة حتى نهايتها .

أشار إليه (ف) فى حزم ، قائلاً :

ـ المهم ألا تدعوه يغيب عن أبصاركم قط .. هل تفهم ؟

غمغم المساعد ، وهو ينسحب من الحجرة :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

راقبه (ف) ، حتى غادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم نهض من خلف مكتبه ، وعاد يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتطلَّع عبر النافذة ، وسؤال جديد يملأ ذهنه ، ويفرض نفسه على تفكيره ..

تُرى هل تواصل الأمور سيرها على النحو نفسه حتى النهاية ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

كان (عصام) يدرك جيدًا أن الوقت يعدّ متأخرًا ، بالنسبة لزيارة سيِّدة تعيش بمفردها ، إلا أنه ، ومهما كانت تصوراته للموقف ، لم يكن يتوقع أبدًا رؤية ذلك الذعر ، الذى أطلّ من عينى (إيناس) ، ولا سماع تلك اللهفة فى صوتها ، وهى تهتف به ، وكأنها تستغيث :

ـ أستاذ (عصام) .. يا له من وقت للزيارة !

ارتبك (عصام) لقولها ، وغمغم :

ـ معذرة يا سيِّدتى ، ولكن الأمر ..

قاطعته فى لهفة :

ـ كم يسعدنى أن فعلت هذا .. كنت سأتصل بك على الفور .. لقد حدث أمر عجيب .. عجيب للغاية !

دلف (عصام) إلى الشقة ، وهو يسألها فى توتر زائد :

ـ ما الذى حدث ؟!

امتقع وجهها بشدة ، وهى تجيب :

ـ لقد رأيت (أشرف) .

هتف :

ـ رأيت (أشرف) ؟! أتعنين (أشرف عبيد) .. زوجك ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، ثم ارتجف جسدها وصوتها بأكملهما ، وهى تقول :

ـ رأيت شبحه ..

تراجع (عصام) بدهشة أكبر ، مغمغمًا :

ـ شبحه ؟! ولماذا افترضت أنه شبحه يا سيِّدتى ؟! لِمَ لا يكون هو نفسه ؟! ألم تقولى إن تلك الجثة ...

قاطعته فى حدة :

ـ أنا لم أقل شيئًا .

ثم انخرطت بغتة فى بكاء حار ، قبل أن تتابع :

ـ عندما رأيت الصورة ، فى برنامج صباح الخير يا (مصر) ، أصابنى شىء من الخوف ، تحوَّل إلى رعب شديد ، مع مرور الوقت .. صحيح أننى تحدَّثت بنفسى إلى (أشرف) ، فى موعد مقارب لذلك الذى وقع فيه حادث قرية الأطفال ، ولكننى كنت أتصوَّر أن المحادثة تأتى من (لندن) ، وليس من هاتف سيارته .. إذن فقد كان هنا ، وحاول خداعى ، وربما لقى مصرعه جزاء هذا .

انعقد حاجبا (عصام) ، وهو يقول :

ـ ولكنك قلتِ : إنك رأيته .

هزَّت رأسها فى عنف ، مجيبة :

ـ بل رأيت شبحه .. لا يمكن أن يكون من رأيته هو (أشرف) نفسه .. لقد حدَجَنى بنظرة نارية ، ثم ابتعد فى سرعة ، دون أن يتبادل معى حرفًا واحدًا .. لو أنه (أشرف) لتحدَّث إلىَّ على الأقل .. أليس كذلك ؟! أليس كذلك يا أستاذ (عصام) ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وهو يحدِّق فى وجهها ، ويتساءل : ما الذى رأته بالفعل ؟!

أهو شبح زوجها ؟!

أم شخص" يشبهه ؟!

إنه لا يؤمن بالأشباح وتداعياتها ، ويميل أكثر إلى فكرة التشابه هذه ..

التشابه !!!

كيف لم يخطر هذا بباله من قبل ؟!

هذه العملية تعتمد كلها على التشابه ..

اثنان يتشابهان بشدة ، أحدهما لقى مصرعه ، والثانى يبذل قصارى جهده لمنع إعلان هذا ..

ربما كان هذا هو التفسير المنطقى لكل ما يحدث ..

التشابه ..

وفى حماس ، سأل (إيناس) :

ـ أخبرينى .. ألم يتحدَّث زوجك قط عن شقيق توءم ؟!

تراجعت فى دهشة ، مغمغمة :

ـ توءم ؟! كلاَّ .. لم يشر إلى هذا قط .. إنه وحيد أبويه ، كما أخبرنى عندما تزوَّجنا .

سألها فى اهتمام :

ـ ألم تلتق بوالديه قط ؟!

أجابته بصوت تسلَّلت إليه نبرة فزع :

ـ لقد أخبرنى أنهما ماتا منذ زمن طويل .

سألها :

ـ وماذا عن عائلته ؟! أعمامه .. أخواله .. أى أقارب آخرين ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تغمغم بعينين مذعورتين :

ـ لم ألتق بأحد من عائلته قط !

تراجع (عصام) فى توتر ، وسألها فى حدة :

ـ معذرة يا سيِّدتى ، ولكن ما الذى تعرفينه عن زوجك بالضبط ؟!

شحب وجهها بشدة ، وهى تجيب :

ـ ما أخبرنى به فحسب .

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يستنكر فى أعماقه ذلك السلوك العجيب ، الذى يدفع سيِّدة أعمال محترمة إلى الارتباط بشخص لا تعلم عنه إلا ما أخبرها به فحسب ..

ولكنه لم يتوقَّف طويلاً عند هذا الاستنكار ..

لقد مال نحوها ، يسألها فى اهتمام بالغ :

ـ أين رأيت زوجك ؟

قالت مرتجفة :

ـ أتقصد شبحه ؟!

أجابها فى ضجر :

ـ نعم .. أين رأيت شبح زوجك ؟!

أشارت بيدها إلى النافذة ، قائلة :

ـ فى الشارع .. كان يقف عند الناصية ، ويتطلَّع إلى المنزل مباشرة ، وعندما تطلَّعت إليه مذعورة ، حدجنى بنظرة نارية ، و ...

قاطعها قبل أن تعيد روايتها :

ـ أليك صورة لزوجك ؟!

حدّقت فى وجهه لحظة بدهشة ، قبل أن تجيب :

ـ بالتأكيد .

ونهضت إلى حجرتها ، وغابت فيها بضع لحظات ، قبل أن تعود حاملة صورة صغيرة لزوجها ، فالتقطها من يدها فى لهفة ، قائلاً :

ـ عظيم .. سأستعين بها مع كمبيوتر الجريدة ، لجمع بعض التحريات عنه .

أشارت بيدها إلى حجرة جانبية ، قائلة :

ـ لو أنك تجيد استخدام الكمبيوتر ، فلدى نظام كامل منه هنا .

نهض قائلاً :

ـ حقا ! سيكون هذا مفيدًا للغاية !

قادته إلى حجرة مكتبها الواسعة ، ولم يكد يدلف إليها ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة وانبهار ، فقد كانت تمتلك بالفعل نظام كمبيوتر متكامل .. شاشة إدخال ، وكمبيوتر ، وطابعة ليزر ملوّنة ، ومناغم صوتى ، ووسيط هاتفى ..

كل النظام تقريبًا ..

وعبر شاشة الإدخال ، نقل (عصام) صورة (أشرف) إلى الكمبيوتر ، ثم أوصله بشبكة المعلومات

الرئيسية ، ونقل صورة (أشرف) إلى كمبيوتر البوليس الدولى ، وطلب بعض المعلومات الخاصة بصاحب الصورة ..

وفى توتر ، سألته (إيناس) :

ـ لماذا البوليس الدولى ؟! (أشرف) ليس مجرمًا خطيرًا .

أشار (عصام) إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـ هذا ما سنعرفه بعد قليل ..

قالت فى عصبية :

ـ قلت لك : إن زوجى ليس لصًا أو مجرمًا .

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ ما الذى يقلقك إذن ؟!

أجابته فى حدة :

ـ من الواضح أنك لا تستطيع التفرقة ، بين الغضب والقلق .

رمقها بنظرة طويلة ، ثم غمغم :

ـ الأمر لن يستغرق طويلاً .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى بدأت طابعة الليزر عملها ، فتعلّقت بها عينا (إيناس) ، فى توتر بالغ ، فى حين انعقد حاجبا (عصام) ، وهو يلتقط الورقة التى برزت منها ، والتى تحمل صورتين واضحتين لـ (أشرف عبيد) ، واحدة أمامية ، وأخرى جانبية ، مع بيانات

عديدة ، تتصدَّرها كلمة بخط واضح كبير ، جحظت لها عينا (إيناس) فى ارتياع ، وهى تردِّد :

ـ لا .. مستحيل !.. مستحيل !

فقد كانت الترجمة الأمينة الدقيقة للكلمة ، تؤكِّد أن (أشرف عبيد) نصَّاب ..

نصَّاب دولى ..

وخطير ..

★ ★ ★

ارتجف جسد (إيناس) فى عنف ، من قمة رأسها ، حتى أخمص قدميها ، وهى تنكمش على نفسها فى آخر مقعد فى الردهة ، و (عصام) يقرأ بيانات (أشرف) ، التى استقاها من ملفات البوليس الدولى ، بصوت مرتفع ، قائلاً :

ـ الاسم (نادر ابراهيم) ، مصرى الجنسية ، فرنسى المولد ، يجيد العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية ، تم إلقاء القبض عليه أربع مرات ، وسُجِنَ لسبع سنوات فى قضيتين من الأربع ، وتم الإفراج عنه مرتين ، لعدم كفاية الأدلة .. له أكثر من عشر سوابق فى مجال النصب ، ويشتبه فى صلته ببعض الجماعات الإرهابية وتجار السلاح .. آخر مقر معروف له هو

شارع (أكسفورد) فى (لندن) ، يُعتقَد أنه عاد إلى (مصر) ، وانتحل اسمًا جديدًا .

انتهى من قراءة البيانات ، ثم رفع عينيه إليها ، يسألها :

ـ ما رأيك ؟

انهمرت دموعها كالسيل ، وهى تغمغم :

ـ إنه هو .. لا يمكننى أن أخطئ تعرُّفه هذه المرة .. اللغات التى يجيدها ، وإقامته فى شارع (أكسفورد) .. وحتى صورته .. إنه هو ولا شك .

نهض (عصام) من مقعده ، ولوَّح بالورقة ، وهو يقول فى تفكير عميق ، وكأنه يحدِّث نفسه :

ـ (أشرف عبيد) ، و (طارق عبد الجواد) ، و(نادر إبراهيم) .. واللّه (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كم من الأسماء الأخرى انتحل ، طوال حياته الحافلة .

سألته باكية :

ـ هل تعتقد أن له اتصالات بالجماعات الإرهابية وتجار السلاح بالفعل ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب :

ـ لن أستبعد هذا الاحتمال ، فأمثاله لا يتورَّعون عن

القيام بأى عمل كان ، فى سبيل المال ..

صاحت فى مرارة :

ـ كم أتمنى لو أن تلك الجثة جثته بالفعل .

عقد (عصام) حاجبيه بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ لست أعتقد هذا .

سألته فى عصبية :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجابها بسرعة :

ـ لأن ذلك الشخص ، الذى لقى مصرعه ، مات وهو يجازف بحياته لإنقاذ طفلين من الحريق ، وما من نصّاب يفكر حتى فى القيام بعمل كهذا .

غمغمت متوترة :

ـ ولكن ذلك التشابه المدهش ..

قال فى حزم :

ـ نعم .. ذلك التشابه .. القضية كلها تكمن فى ذلك التشابه العجيب ، والـ ...

بتر عبارته بغتة ، وأدار رأسه فى حركة حادة إلى باب الشقة ، فانتفضت (إيناس) فى مجلسها ، قائلة :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار إليها بالصمت ، وهو يتحرّك نحو الباب ، هامسًا :

ـ أحدهم يحاول دخول الشقة .

انتفض جسدها كله فى عنف ، وهى تقول :

ـ دخول الشقة ؟!.. لماذا ؟!

أشار إليها مرة أخرى بالصمت ، وهو يتجه نحو الباب ، وتابعته هى ببصرها فى هلع ، وكادت تطلق شهقة قوية ، عندما انفتح الباب بغتة ، ولكن عيناها اتسعتا فى ارتياع هائل ، مع عينى (عصام) ، قبل أن تنطلق من أعمق أعماقها صرخة :

ـ لا .. مستحيل !

أما (عصام) ، فقد سرت فى عروقه قشعريرة باردة كالثلج ، لم يشعر بمثلها فى حياته قط ..

فذلك الذى دلف إلى الشقة ، وحَدَجها بنظرة صارمة مخيفة ، كان نسخة طبق الأصل من ذلك الذى كان يرقد فى المشرحة جثّة هامدة ، فى ذلك الصباح ..

المجهول ..

أشهر مجهول .

★ ★ ★

أما (عصام) ، فقد سرت فى عروقه قشعريرة باردة كالثلج ، لم يشعر بمثلها فى حياته قط ..

٣ ـ وجهًا لوجه ..

استعاد العميد (عادل) وعيه رويدًا رويدًا فى بطء ، وتحسَّس الضمادات المحيطة بصدره فى شىء من الألم ، انكسرت حدته مع ما تم حقنه به من عقاقير مسكِّنة ، وهو يغمغم ، قبل أن يفتح عينيه :

ـ ماذا حدث ؟! هل نجوت من هؤلاء الأوغاد ؟!

تسلَّل إلى أذنيه صوت هادئ ، يقول :

ـ هذا صحيح .. لقد نجوت بأعجوبة .

بدا له الصوت مألوفًا إلى حد ما ، ففتح عينيه يتطلَّع إلى صاحبه ، ولكن الضوء أغشى بصره بضع لحظات ، قبل أن تعتاده قزحيته ، ويستجيب له بؤبؤ عينيه ، ويتضح له المكان من حوله ..

كان يرقد على فراش وثير نظيف ، داخل حجرة من حجرات العناية المركَّزة ، فى أحد المستشفيات الأنيقة ، وحوله أجهزة قياس نبضات القلب وإشارات المخ ، وأنابيب تدفع سوائل التغذية والعلاج فى عروقه مباشرة ، وأمامه يقف رجل أصلع الرأس ، له ملامح مألوفة ..

وفى هدوء ، ابتسم ذلك الرجل ، قائلاً :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

تطلّع إليه (عادل) لحظة ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ العميد (صبرى) ؟! ماذا تفعل هنا ؟!

أطلق العميد (صبرى) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول :

ـ بل قل : ماذا تفعل أنت هنا يا (عادل) ؟! إننى فى أرضى .

غمغم (عادل) :

ـ أرضك ؟! ماذا تعنى ؟!

جلس العميد (صبرى) على طرف فراشه ، قائلاً :

ـ هذا المستشفى ، الذى ترقد فيه ، ليس مستشفى هيئة الشرطة .. إنه المستشفى الخاص بنا .

هتف (عادل) فى دهشة أكبر :

ـ بكم ؟! وما الذى أحضرنى إلى هنا ؟

التقط العميد (صبرى) نفسًا عميقًا ، وهو يجيب :

ـ إنها قصة طويلة يا رجل .. قصة دسست أنت وزميلك الصحفى أنفيكما فيها دون أن تدركا ما تفعلانه ، وكدتما تتسبَّبان فى كارثة أمنية .

حدَّق (عادل) فى وجهه ، قائلاً :

ـ كارثة أمنية ؟! إلىٰ هذا الحد ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا صديقى .. سأشرح لك الأمر كله .

وفى هدوء ، راح العميد (صبرى) يشرح ، وراحت عينا (عادل) تتسعان فى دهشة بالغة ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

★ ★ ★

لثوان ، حدَّق (عصام) فى وجه القادم فى ذهول ، وتراجع أمامه فى بطء ، والرجل يتقدَّم إلى الداخل ، وينتزع من حزامه مسدسًا ، يصوِّبه إليه ، قائلاً فى مزيج من السخرية والعصبية :

ـ مفاجأة يا أستاذ (عصام) .. أليس كذلك ؟!

حاول (عصام) أن يجيب ، إلا أن لسانه التصق بسقف حلقه ، من شدة جفافه ، فعجز عن النطق ، وهو يواصل التحديق فى وجه الرجل ، الذى بدا له وكأنما بُعِثَ من قبره ، وعاد بمعجزة إلى عالم الأحياء ، فى حين هتفت (إيناس) بصوت شاحب مذعور :

ـ (أشرف) .. أأنت .. أأنت حى يا (أشرف) ؟!

أجابها ساخرًا :

- بالطبع يا عزيزتى .. أكنت تتصوَّرين أن مصرعى سهل إلى هذا الحد .

اتسعت عيناها فى هلع ، وهى تقول :

- ولكن تلك الجثة ..

أجابها فى شراسة عجيبة :

- هذا بالضبط ما أرغب فى معرفته .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى حدة :

- ما قصة تلك الجثة المزعومة يا أستاذ (عصام) ؟! أراهن على أنه لا وجود لها ، وأن القصة كلها مجرَّد لعبة من المباحث .. أليس كذلك ؟!

عاد (عصام) يحدِّق فى وجهه ذاهلاً ، قبل أن يقول :

- الواقع أنك تشبه صاحب الجثة على نحو مذهل .

صاح (أشرف) فى وجهه :

- مستحيل ! لا تحاول إقناعى بهذا يا (عصام) بك .. أنا لست أميًا .. أنا رجل متعلم ومثقف ، وأجيد ثلاث لغات حية إجادة تامة ، إلى جوار العربية ، وثقافتى تؤكِّد لى أنه من المستحيل أن يتشابه اثنان إلى حد التطابق .. حتى التوائم المتماثلة ، لابد وأن تجد بينها اختلافًا ولو ضئيلاً .. بل إن جانبى الوجه لا يمكن أن يتطابقا كصورة مرآة(★) .

(★) حقيقة علمية .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- وهذا يعنى أن الفيلم الذى عرضه التليفزيون ، وكذلك الصورة ، وكل ما حدث مجرَّد خدعة .. قل لى : هل استخدمتم الكمبيوتر فى صنعها أم ماذا ؟!

غمغم (عصام) مبهوتًا :

- لا توجد أية خدعة .. لقد شاهدت ما حدث فى قرية الأطفال بنفسى ، و ...

بتر عبارته بغتة ، قبل أن يندفع ، قائلاً فى حدة :

- ثم ما أهميتك ، حتى يشترك الجميع لصنع خدعة معقَّدة كهذه ؟! إنك مجرَّد نصَّاب ، مهما بلغت براعتك .

اتسعت عينا (أشرف) ، ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

- آه .. من الواضح أنك جمعت بعض المعلومات عنى .

وأدار عينيه إلى الورقة ، التى مازال (عصام) يمسك بها ، ثم انقضَّ عليها فى شراسة عجيبة ، وانتزعها من يده فى عنف ، قائلاً :

- أعطنى هذه .

وألقى نظرة عصبية سريعة عليها ، قبل أن يلقى بها إلى ركن الحجرة فى عنف ، ويقول لزوجته :

ـ إذن فقد كشفت الحقيقة أخيرًا .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وغمغمت :

ـ اسمك (نادر) .. أليس كذلك ؟!

أجابها فى سخرية عصبية :

ـ كلاً .. اسم (نادر) هو أحد الأسماء العديدة ، التى انتحلتها خلال مشوار حياتى .. اسمى الحقيقى لا يعرفه أحد .. حتى أنا نفسى أكاد أنساه فى بعض الأوقات ، عندما أندمج فى شخصية جديدة .. لا تحاولى البحث عنه .. اعتبرينى بالنسبة لك (أشرف عبيد) .

قالت فى هلع :

ـ ماذا فعلت يا (أشرف) ، حتى يحيطك الجميع بكل هذا الاهتمام ؟!

بدا عليه الغضب ، وهو يقول :

ـ لا شأن لك بهذا .. لن يمكنك أن تفهمى أبدًا .

بدا عليها شىء من الغضب ، على الرغم من خوفها ، وهى تقول :

ـ إنك لم تسافر إلى (لندن) .. لقد تحدثت إلىَّ من هاتف سيارتك .. أليس كذلك ؟!

قال فى حدة :

ـ قلت لك : ليس هذا من شأنك .

تدخَّل (عصام) ، قائلاً :

ـ فليكن يا (أشرف) .. ما الذى تنوى أن تفعله بنا ؟

صاح به (أشرف) فى عصبية شديدة :

ـ بل ما الذى تنوى الشرطة فعله بى ؟! لماذا صنعوا كل هذه الخدعة ؟! ما الذى يعرفونه ؟! ما الذى يمتلكونه ضدى ؟!

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـ سل نفسك .

زاغت عينا الرجل فى محجريهما ، وهو يقول :

ـ مستحيل أن يكونوا قد علموا بالأمر ، وإلا ما سمحوا لى بالدخول إلى (مصر) بهذه البساطة ، عند عودتى من (لندن) !! مستحيل ! لا يمكن أن يكونوا قد عرفوا بأمر الـ ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وأطلّ منهما ارتياع بلا حدود ، وهو يتراجع هاتفًا :

ـ يا للشيطان !.. بل إنهم يعلمون ويعرفون .. ولهذا فعلوا كل ما فعلوه ! اللعنة !! هذا يعنى أنهم سمحوا لى بالدخول لكشف أمر الآخرين فحسب .

زاغت عيناه مرة أخرى ، وبدا أشبه بفأر فى المصيدة ، وهو يتلفت حوله فى ارتياع ، قبل أن ينقضّ على (عصام) ، هاتفًا :

ـ أين هم الآن ؟! هل يحاصرون المنزل ، أم ينتظروننا عند الناصية ؟! أين وضعوا الفخ بالضبط ؟!

قال له (عصام) فى صرامة :
ـ من الواضح أنك مصاب بعقدة الاضطهاد يا رجل .
جذبه (أشرف) من سترته ، صائحًا فى ثورة :
ـ سألتك أين هم ؟!
دفعه (عصام) فى حدة ، هاتفًا :
ـ لا يوجد أحد هنا .. جنونك وحده هو الذى يصوِّر لك أنهم يهتمون بأمرك .. أنت نَكِرة يا رجل .. هل تفهم ؟ نكِرة .
صاح (أشرف) :
ـ بل أنت الذى لا يفهم شيئًا .. لست تدرك أهمية الأمر وخطورته .. لو أنهم يعلمون ، فسيعنى هذا أن أمرى قد انتهى تمامًا .. بل أمر الجميع .. لابد من تحذير الزعيم .. لابد .
قالها ، واندفع نحو الهاتف ، وقد انتابه ذعر هائل بلا حدود ..
ولم يدر (عصام) ما الذى يخيفه إلى هذا الحد ..
بل لم يدر حتى مدى أهميته ..
ولكن عبارته شحذت حواسه كلها بشدة :
لابد من تحذير الزعيم ..
هناك زعيم ما ، يسعى (أشرف) لتحذيره ..
زعيم لنصَّاب دولى ..
ولابد من منع هذا ..

حتى ولو لم يفهم (عصام) الغرض منه ..
لابد من منعه من تحذير الزعيم فحسب ..
وبقفزة حازمة ، حاسمة ، مباغتة ، انقضّ (عصام) على (أشرف) ، قبل أن يبلغ الهاتف ..
وبكل قوته ، استدار إليه (أشرف) ، محاولاً إطلاق النار على رأسه ، ولكن (عصام) أمسك معصمه فى قوة ، ودفعه بعيدًا ، فانطلقت الرصاصة نحو السقف ..
وصرخت (إيناس) فى رعب هائل ، والاثنان يلتحمان فى مشاجرة عنيفة وحشية ..
مشاجرة بذل (أشرف) خلالها قصارى جهده ، ليطلق رصاصة صائبة على جسد (عصام) ، الذى قاتل فى استماتة ، لمنع حدوث هذا ، فى حين راحت (إيناس) تصرخ بلا انقطاع ..
وبكل غضب الدنيا ، صاح (أشرف) :
ـ مستحيل !.. لن أسمح لصحفى مثلك بإفساد حياتى كلها ، بعد أن بلغت ما بلغته .. لن أسمح لك أبدًا .
لم يناقش (عصام) هذا المنطق ، وهو يقاتل بكل قوته لمنع (أشرف) من إطلاق النار عليه ، ومن الوصول إلى الهاتف لتحذير ذلك الذى أطلق عليه اسم (الزعيم) .
ولكن (أشرف) كان أكثر قوة ..
وأكثر عنفًا ..

كان من الواضح أنه نشأ وترعرع فى مناخ قاس عنيف ، وأنه يمتلك خبرة واسعة فى ذلك النوع من القتال الهمجى ، المعروف باسم (قتال الشوارع) ؛ فقبضته وقدماه تركل فى عنف كل ما يقع فى طريقها دون تمييز ، والسباب ينهمر من بين شفتيه طوال الوقت بلا انقطاع ، والغضب يكاد يلتهم كيانه كله ..

ولقد تلقّى (عصام) عشرات اللكمات والركلات ، فى مختلف أنحاء جسده ، ولكنه لم يفلت معصم (أشرف) قط .

ثم هوت تلك اللكمة بين عينيه مباشرة ..

وشعر بآلام مبرحة ، لا مثيل لها ..

وتدار رأسه فى عنف ..

وهنا ركله (أشرف) فى معدته بكل قوته ، ودفعه بعيدًا ، وهو يقول فى شراسة .

ـ خسرت أيها الصحفى الهمام .

سقط (عصام) على ظهره ، وهو يشعر بآلام مبرحة فى معدته ، فى حين اندفع (أشرف) نحو الهاتف ، غير مبال بصرخات زوجته ، وهو يقول فى حدة :

ـ كان ينبغى أن تدرك منذ البداية ، أنه لن يمكنك التغلّب علىَّ بسهولة .

والتقط سمّاعة الهاتف ، وهو يصوّب فوهة مسدسه إلى (عصام) ، مضيفًا :

سقط (عصام) على ظهره ، وهو يشعر بآلام مبرحة فى معدته ، فى حين اندفع (أشرف) نحو الهاتف ، غير مبال بصرخات زوجته ..

ـ ومن سوء حظك أنك قد خسرت يا رجل ، فالخسارة فى شريعتى لا تعنى سوى نهاية واحدة ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يجذب إبرة مسدسه ، مضيفًا :

ـ الموت ..

واتسعت عينا (عصام) فى ارتياع ..

ودوت رصاصة قوية فى المكان ..

★ ★ ★

اتسعت عينا الزعيم فى توتر بالغ ، وهو يحدّق فى وجه رجله ، صاحب الصوت الخشن ، الذى بدا أشدّ منه توترًا وعصبية ، وتراجع فى مقعده فى بطء مثير ، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ أعد ما قلته على مسامعى يا رجل .. أريد أن أتيقّن من أننى لست واهمًا .

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول بصوته الخشن :

ـ (أشرف) حى أيها الزعيم .. (أشرف عبيد) ..

انعقد حاجبا الزعيم فى شدة ، ولوّح بذراعه ، قائلاً :

ـ ولكن هذا مستحيل يا رجل !.. لقد أطلقت عليه النار بنفسى .

أشار الرجل إلى عينيه ، قائلاً :

ـ ولكننى رأيته بعينىَّ هاتين أيها الزعيم .. رأيته

يتسلّل إلى منزله ، منذ أقل من نصف الساعة .. لقد وقفت أراقب المنزل كما أمرتنى ، حتى أتسلّل إليه ، عندما تنام صاحبته ، للبحث عن أية أوراق تركها (أشرف) خلفه بعد مصرعه ، وشاهدت ذلك الصحفى يصعد إلى المنزل .

اعتدل الزعيم بحركة حادة ، قائلاً :

ـ أى صحفى ؟!

أجابه الرجل فى توتر بالغ :

ـ ذلك الصحفى الذى حاولنا قتله .. (ع × ٢) .

برقت عينا الزعيم فى شراسة ، وهو يقول :

ـ (عصام كامل) ؟! أأنت واثق من أن (عصام) قد ذهب لزيارة (إيناس) ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ تمام الثقة أيها الزعيم .. لقد سعينا لقتله مرتين ، ولا يمكننى أن أخطئ تعرُّفه الآن .

ازداد انعقاد حاجبى الزعيم فى شدة ، وانطلق عقله يفكّر فى الأمر نحو دقيقة كاملة ، قبل أن يسأل الرجل :

ـ وكم مضى من الوقت ، قبل أن يظهر شبيه (أشرف) هذا .

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ بل هو (أشرف) نفسه أيها الزعيم .. ليس لدى أدنى شك فى هذا .. لقد تعاملت معه شخصيًا لعام

كامل ، ويمكننى تمييزه وسط ألف شبيه له .

صمت الزعيم بضع لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم :

ـ إذن فلم تلق مصرعك فعليًا يـا (أشـرف) .. تـرى لماذا ؟! لماذا ؟!

ثم رفع عينيه إلى الرجل ، وسأله :

ـ حسن .. متى وصل (أشرف) ؟!

أجابه الرجل ملوِّحًا بيده :

ـ بعد ما يقرب من نصف الساعة .. رأيته يتسلَّل فى حذر إلى المنزل ، ويختفى داخله ، وانتظرت لمدة ربع الساعة ، ثم هرعت لأبلغك بالأمر .

نهض الزعيم من خلف مكتبه ، وتحرَّك فى حجرته بضع لحظات معقود الحاجبين ، وعلامات التفكير العميق محفورة على وجهه ، قبل أن يتوقَّف ، ويتمتم محدِّثًا نفسه :

ـ من الواضح أنه هناك صلة ما ، تربط ما بين (أشرف) و (عصام كامل) ، و (إيناس خالد) .. صلة جعلت (أشرف) يتظاهر بالموت ، وتعاونه الشرطة والسلطات على هذا ، ويُبدى الصحفى حماسًا زائفًا لتعرّف هويته ، باعتباره شخصًا مجهولاً .. كل هذا للوصول حتمًا إلى نتيجة ما .. أو للإيقاع بشخص ما .

والتفت إلى الرجل، متابعًا بصوت واضح ولهجة غاضبة:

ـ بى أنا .

شحب وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ هل .. هل تعتقد أن السلطات تعلم أمرنا أيها الزعيم ؟

انعقد حاجبا الزعيم ثانية ، وقال :

ـ ألديك تفسير آخر ؟

أطلق الرجل شهقة مذعورة ، هاتفًا :

ـ إذن فقد فشلت الخطة كلها ، وسيلقون القبض علينا حتمًا ، قبل تنفيذ المهمة .

أجابه الزعيم فى شراسة :

ـ ليس بهذه البساطة .. لن يمكنهم تحديد هويتى الحقيقية .. لا أحد يعرفها سواى .

قال الرجل متوترًا :

ـ ولكنهم يستطيعون تحديد ملامحك أيها الزعيم .. لديهم أجهزة حديثة لهذا .. و (أشرف) يمكنه وصف ملامحك ، وإعادة تكوينها بوساطة الكمبيوتر .

انعقد حاجبا الزعيم ، دون أن يجيب ، ورمق الرجل بنظرة جانبية ، فى حين تابع الرجل فى عصبية :

ـ حتى الأشخاص المتنكرين ، يمكن للكمبيوتر تحديد هويتهم ، وكشف تنكرهم ، و ...

قاطعه الزعيم فى صرامة :

ـ أنت على حق يا رجل .. من الخطر أن يبقى شخص يمكنه وصف ملامحى .

ثم انتزع من جيبه مسدسًا ، صوَّبه إلى الرجل ، مستطردًا :

ـ جميل منك أن ذكَّرتنى بهذا .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، وتراجع بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ ماذا تقصد أيها الزعيم ؟!

أجابه الزعيم ، وهو يجذب إبرة مسدسه فى صرامة :

ـ ما أشرت إليه أنت بالضبط يا رجل .. أن أزيل كل من يمكنه إرشادهم إلىَّ من الوجود .

صرخ الرجل فى رعب :

ـ لا أيها الزعيم .. لا .

ولكن الزعيم ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصة ..

ولثانية ، ترنَّح الرجل جاحظ العينين ، وتفجَّرت الدماء من ثقب صغير فى منتصف جبهته ، قبل أن يسقط عند قدمى الزعيم جثة هامدة ..

وبلا أدنى قدر من المبالاة ، نفخ الزعيم الدخان من فوهة مسدسه ، ثم أعاده إلى جيبه ، وقال :

ـ هكذا ينحصر الخطر فى شخص واحد .. (أشرف عبيد) .

وغادر المكان فى هدوء ، وكأنما لم يرتكب جريمة قتل منذ دقائق معدودة ..

كان من الواضح أنه محترف فى مجاله ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

لحظة واحدة وينتهى أمر (عصام) ..

لقد صوَّب (أشرف) مسدسه إليه ، وجذب إبرته ، و ...

وانطلقت رصاصة قوية ..

ولكن ليس من مسدس (أشرف) ..

بل وليس حتى داخل الشقة ..

لقد انطلقت الرصاصة خارجها ، وأطاحت برتاج بابها ، فانطلقت صرخة قوية من بين شفتى (إيناس) ، وخاصة عندما اقتحم رجلان المكان ، واندفع أحدهما نحو (أشرف) ، الذى رفع مسدسه إليه ، هاتفًا :

ـ كنت أعلم هذا .

هتف بها ، وأطلق رصاصة مسدسه ، ولكن الرجل وثب جانبًا فى خفة ، متفاديًا رصاصة (أشرف) ، وأطلق رصاصته هو ، التى أصابت مسدس هذا الأخير ، وأطاحت به فى عنف ..

وقبل أن يتحرّك (أشرف) ، انقضّ عليه الرجل فى عنف ، فى حين اندفع الآخر نحو (عصام) ، يسأله فى لهفة :

ـ أستاذ (عصام) .. أأنت بخير ؟!

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وعيناه المتسعتان تحدقان فى وجه الرجل ، بعد أن تعرّف الرجلين من الوهلة الأولى ..

كانا نفس الرجلين ، اللذين اشتبكا معه فى الشارع الجانبى ، وأفقداه الوعى ، ثم اتصلا بدورية الشرطة لنجدته ..

وبحركة متوترة ، أدار عينيه يراقب القتال ، الذى نشب بين (أشرف) والرجل الأوّل ، مع صرخات (إيناس) المتصلة ..

كان (أشرف) يقاتل بأسلوب الشوارع الذى يجيده ، إلا أن الرجل الآخر كان محترفًا بحق ، فقد تفادى فى مهارة تلك اللكمات والركلات العشوائية ، ولكم (أشرف) فى أنفه وفكه مرتين ، ثم التقط معصمه ، ولواه خلف ظهره بحركة حادة ، قائلاً فى صرامة :

ـ كفى يا رجل .. لقد خسرت ، ولم تعد هناك جدوى للمقاومة ..

حاول (أشرف) أن يقاومه مرة أخرى ، ولكن

الرجل ثبته فى الأرض بقوة ، فارتجف جسده فى عنف ، وراح يهتف :

ـ أنا لم أفعل شيئًا .. لقد ابتعت له السلاح والذخيرة فحسب ، ولكننى لست مسئولاً عما فعله أو سيفعله .. لست مسئولاً .

أجابه الرجل فى صرامة :

ـ حاول أن تشرح هذا للمسئولين .

هتف (عصام) فى توتر :

ـ المسئولين ؟! من أنتما بالضبط ؟!

اعتدل الرجل الآخر ، قائلاً :

ـ أعتقد أنه من حقك أن تعرف الآن يا أستاذ (عصام) .

قالها ، وأبرز من جيبه بطاقة صغيرة ، وضعها أمام عينى (عصام) ، الذى اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدّق فى اسم الجهة التى أصدرت تلك البطاقة الخاصة .

فقد كانت المفاجأة مدهشة ..

وبحق .

★ ★ ★

٤ ـ مسألة أمن ..

خيّم هدوء شديد على منطقة المخابرات العامة المصرية ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، عندما عبرت سيارة كبيرة البوّابة ، وبداخلها (عصام) و(أشرف) ، والرجلان الآخران ، وبعد تجاوز إجراءات الأمن المعتادة ، انطلقت السيارة داخل المكان ، حتى توقّفت أمام مبنى من ثلاث طوابق ، تحيط به مبان أكثر ارتفاعًا ، وكأنما وضعت خصيصًا لحجبه عن الرؤية تمامًا ، وهبط الرجلان من السيارة ، وأحدهما يمسك (أشرف) فى قوة ، ويغرس فوهة مسدسه الكبير فى جانبه ، فى حين أشار الآخر بيده لـ (عصام)، قائلاً فى لهجة شديدة التهذيب :

ـ تفضّل يا أستاذ (عصام) .. السيّد (ف) فى انتظارك .

لم يحاول (عصام) السؤال عن الاسم الحقيقى للسيّد (ف) ، فقد سرى مزيج من التوتر والانبهار فى أعماقه ، وهو يستقل مصعدًا كبيرًا مع الآخرين ، إلى الطابق الثالث ، ثم يسيرون فى ممر واسع طويل نظيف ، لا أثر فيه لمخلوق واحد ، حتى بلغوا بابًا كبيرًا ، طرقه

أحد الرجلين ، قبل أن يميل نحو جهاز اتصال داخلى مثبت بالجدار ، ويقول :

ـ رقم (٧٤٣٢) .. أطلب الإذن بالدخول .

انتظر (عصام) سماع الجواب ، إلا أن جهاز الاتصال ظلّ على صمته ، فى حين أضىء مصباح أخضر صغير على قمة الباب ، الذى انفتح فى بطء ، كاشفًا قاعة اجتماعات كبيرة يجلس داخلها أربعة أشخاص ، التفتوا جميعًا إلى القادمين ، وأشار الرجل الوقور ، الذى يجلس على قمة مائدة الاجتماعات إلى رقم (٧٤٣٢) ، قائلاً :

ـ (عصام) وحده .. الآخر فى حجرة الاستجواب .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ تفضّل يا أستاذ (عصام) .

دلف (عصام) إلى الحجرة ، وقد تضاعفت نبرة الرهبة والتوتر فى أعماقه ، خاصة وقد تعلّقت به عيون الجميع ، وقال الوقور بصوته العميق :

ـ أستاذ (عصام) .. دعنى أعترف أوّلاً بأننى لم أكن أحبّذ أبدًا فكرة ضمّ صحفى مثلك إلى العملية ، فلست أثق بقدرة أى صحفى فى العالم على كتمان الأسرار .

لم ترق هذه المقدّمة لـ (عصام) ، فقال فى شىء من العصبية :

ـ أشكرك .

تابع السيِّد (ف) ، وكأنما لم يسمعه :

ـ ولكن ملابسات الأمر جعلتنا مضطرين للاستعانة بك .

اتعقد حاجبا (عصام) فى حنق أكثر ، وهو يقول :

ـ آه .. إذن فهى الضرورة فحسب .

ابتسم أحد رجال المخابرات ، وهو يشير إليه ، قائلاً :

ـ تفضَّل يا أستاذ (عصام) ، وسنشرح لك الأمر كله .

جلس (عصام) متوترًا ، يدير عينيه فى وجوههم ؛ حتى توقَّف بصره عند الوقور ، الذى قال فى شىء من الحنق :

ـ الواقع أنك سبَّبت لنا مشكلات عديدة يا أستاذ (عصام) ، فحماسك الشديد للأمر كاد يفسد عملية ، بذلت فيها أجهزة الدولة جهدًا كبيرًا .

أجابه (عصام) فى عصبية :

ـ كل ما فعلته هو أننى أديت واجبى كما ينبغى ، وحاولت تحديد هوية بطل ، انبهرت به (مصر) كلها ، ولكنه ظل مجهولاً للجميع .

أشار الوقور إلى أحد رجاله ، الذى قال :

ـ هذا البطل هو فى الواقع أحد رجالنا يا أستاذ (عصام) ، وسنكشف لك كل المعلومات الخاصة به ، والصالحة للنشر ، فور الانتهاء من هذه العملية بإذن الله

سأل (عصام) فى اهتمام ، وقد راق له ذلك الجزء الأخير من الحوار .

ـ ولكن ما صلة أحد رجال المخابرات بنصَّاب عالمى مثل (أشرف عبيد) .

أجابه الرجل :

ـ (أشرف) ليس مجرَّد نصَّاب ، بل هو مجرم دولى ، له اتصالات بالعديد من الجهات المشبوهة والمنظمات الإجرامية ، مثل (المافيا) ، والجماعات الإرهابية الدولية ، وتجار الأسلحة والمخدرات وغيرهم ، ومعظم تلك الجماعات تميل إلى الاستعانة به فى بعض الأحيان ، عندما تعد لعمل إجرامى ، فى إحدى الدول العربية المستهدفة ، وعلى رأسها (مصر) بالطبع .. وفى الآونة الأخيرة ، خططت إحدى الجماعات الإرهابية للقيام بعملية اغتيالات واسعة النطاق ، لعدد من كبار الوزراء والمسئولين فى (مصر) ، كمحاولة لإحراج الحكومة المصرية ، أمام شعبها ، ووضعنا فى صورة من يعجز حتى عن حماية مسئوليه .. ولأن العملية بالغة الأهمية والخطورة ، ولا تحتمل الفشل ، قرَّرت تلك الجماعة الإرهابية الاستعانة بمحترف حقيقى لتنفيذ العملية ، وتزويده بواحد من أخطر الأسلحة ، التى أنجبتها

التكنولوجيا الأمريكية الحديثة ، وهو نوع من البنادق طويلة المدى ، مزوّدة بمنظار إليكترونى له قدرة على تكبير المشهد مائة مرة ، ويتم تحديد الهدف فيه بوساطة الليزر ، ورصاصاتها عبارة عن صواريخ دقيقة موجّهة ، وما إن يتم التصويب على الهدف ، وإطلاق الرصاصة ، حتى تتجه إليه مباشرة ، من مسافة نصف كيلومتر ، وتطارده بالتحديد ، بحيث يبلغ احتمال فشلها فى إصابته واحد لكل ستين ألف مرة .. والرصاصة نفسها لا تخترق الجسد فحسب ، وإنما تنفجر داخله وتمزّقه إربًا .. باختصار .. لو استخدم شخص محترف سلاحًا كهذا ، لأصبح من المستحيل أن يفشل فى مهمته .

تمتم (عصام) بأنفاس مبهورة :

ـ يا إلهى !.. ألا يبذل العباقرة جهدهم ، إلا لاختراع وسائل القتل والتدمير ..

تبادل الرجال نظرة صامتة ، دون التعليق على عبارته ، وقال السيد (ف) بصوته العميق :

ـ ومن أجل تحقيق الهدف المنشود ، دفعت تلك الجماعة الإرهابية مليونى دولار ، ثمنًا لذلك السلاح المتطوّر ، الذى أطلق عليه مخترعه اسم (شارب شوت ـ ١) ، مع عشرين رصاصة موجّهة من

رصاصاته ، واستأجروا قاتلاً محترفًا يمكنه تنفيذ العملية فى (مصر) ، لأنه يهودى من أصل مصرى ، يتحدّث العربية بطلاقة ، ويعمل لحساب (المافيا) .. وذلك القاتل المحترف من أبرع أهل مهنته القذرة ، إذ إنه قاس لا يرحم ، وخبير فى التنكر والمراوغة .

سأله (عصام) فى قلق :

ـ وما صلة (أشرف) بكل هذا ؟!

أشار (ف) إلى أحد رجاله ، فأجاب :

ـ وصول القاتل المحترف إلى (مصر) لم يكن مشكلة ، فقد حضر بجواز سفر عادى ، كأى سائح تقليدى ، خاصة وأننا نجهل اسمه وهيئته ، اللذين لم ينجح جاسوسنا وسط تلك الجماعة الإرهابية فى الحصول عليهما ، ولكن الرجل نجح فى أن يعرف أن المشكلة الحقيقية كانت فى دخول (شارب شوت ـ ١) إلى (مصر) ، فالبندقية كبيرة الحجم ، لا يمكن إخفاؤها فى سهولة ، ويستحيل عبورها عبر المنافذ الرسمية ، وحتى تهريبها كان عملية محفوفة بالمخاطر ، ومثيرة للقلق .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

ـ ومن هنا كانت ضرورة الاستعانة برجل مثل (أشرف عبيد) .

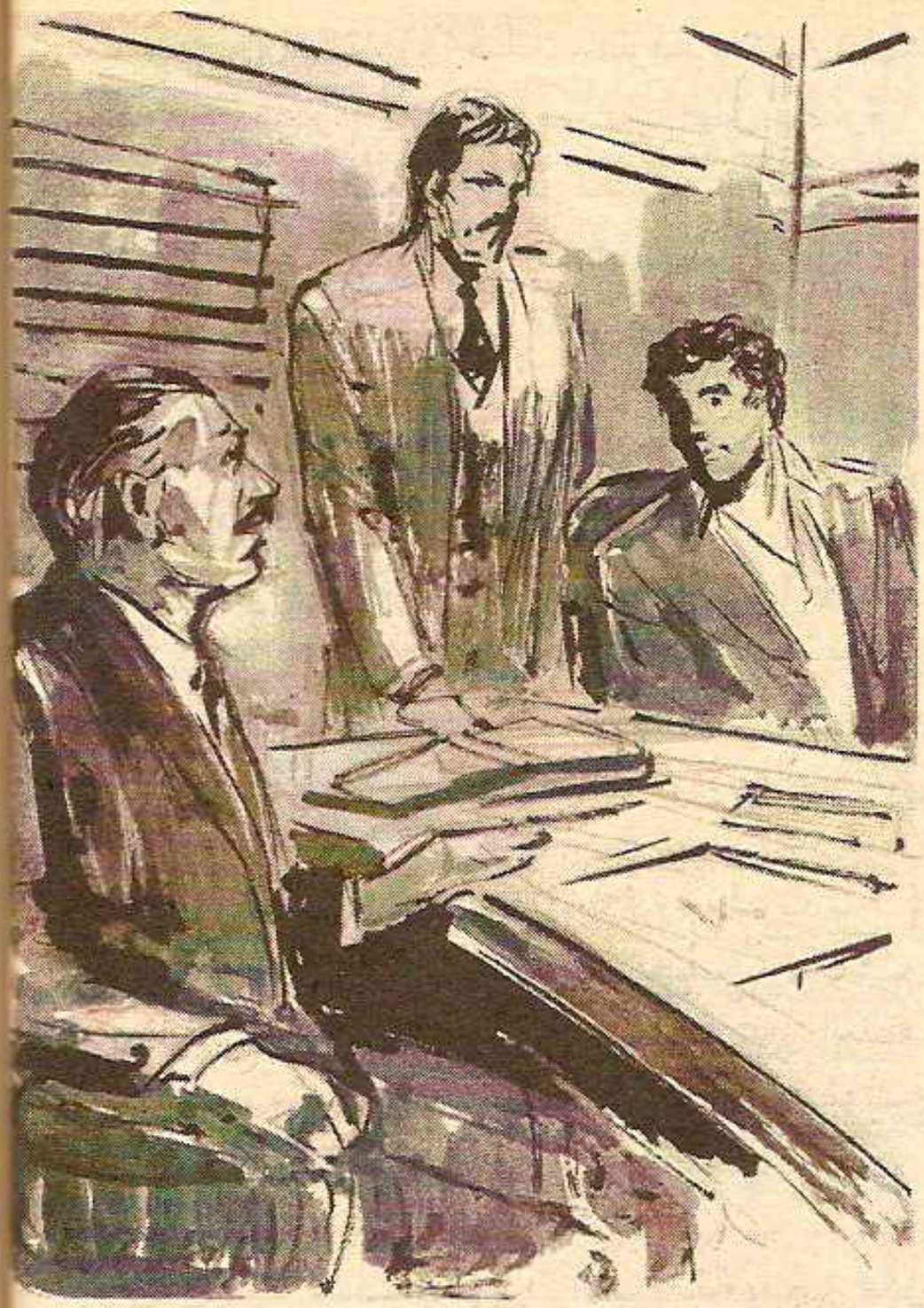

سأله (عصام) فى قلق :

ـ وما صلة (أشرف) بكل هذا ؟! . .

بدا الاهتمام الشديد على وجه (عصام) ، وهو يسأل :

ـ إذن فقد تولّى (أشرف) مهمة تهريب السلاح والذخيرة إلى داخل (مصر) .

أجابه الرجل :

ـ بالضبط .. والمؤسف أنه نجح فى هذا ، وفى تسليم السلاح إلى القاتل المحترف ، الذى نطلق عليه اسم (ك) ، وحصل على أجره بالفعل ، ولكن غريزته الإجرامية أنبأته بأن الأمر ضخم ، إلى الحد الذى يسمح له بطلب المزيد ، وقاده طمعه إلى تهديد القاتل ، والسعى لابتزازه ، والحصول منه على أكبر قدر ممكن من الأموال .. وفى هذه المرحلة بالتحديد ، بدأ تدخلنا فى العملية ، فقد أدركنا أن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى القاتل وكشف أمره ، ومنعه من القيام بمهمته ، خاصة وأن (أشرف) لم يسلمه الذخيرة الموجهة ، ليضمن حصوله على المبلغ المنشود ، وقررنا مراقبة (أشرف) بمنتهى الدقة ، حتى نوقع بالقاتل عن طريقه ..

توقف الرجل لالتقاط أنفاسه ، ولكن (عصام) سأله فى لهفة :

ـ ثم ماذا ؟!

أشار الرجل بيده ، قائلاً :

ـ ولكن (أشرف) اختفى فجأة ، ولم نعثر له على أثر ، مما هدّد خطتنا كلها بالفشل ، وفشلها يعنى نجاح القاتل فى مهمته ، ومصرع عدد من كبار الوزراء والمسئولين ، لذا فقد لجأنا إلى خطة بديلة .. استعنا بأحد رجالنا ، كان يشبه (أشرف) إلى حد كبير ، وبجراحة تجميلية بسيطة ، أزلنا أوجه الاختلاف بينهما ، بحيث صارا نسخة طبق الأصل من بعضهما ، ودفعنا رجلنا للظهور فى الأماكن العامة ، والتعامل فى وضوح شديد ، عسى أن يلفت انتباه الرجل الغامض (ك) الذى نسعى خلفه .. وقد كان .. فذات يوم ، أجرى (ك) اتصاله برجلنا ، باعتباره (أشرف عبيد) ، وطلب منه مقابلته عند قرية الأطفال لتسوية الأمر ..

بدا التأثُّر على وجوه الجميع ، عندما بلغ الرجل هذا الحد من روايته ، وتهدَّج صوته ، وهو يتابع :

ـ كنا نتصور أن (ك) لن يجرؤ على إيذاء رجلنا ، مادام لم يحصل منه على الذخيرة الموجَّهة بعد ، ولكننا فوجئنا ، بعد وصول رجلنا إلى موعد اللقاء بالفعل ، بجاسوسنا فى تلك الجماعة الإرهابية ، يبلغنا أنه تم

الاستعانة بمهرّب آخر ، تمكَّن من إدخال كمية جديدة من الرصاصات الموجَّهة إلى (مصر) ، وسلَّمها بالفعل لـ (ك) .. وهنا تحرَّكنا بأقصى سرعتنا ولكن ..

صمت لحظة ، وتهدَّج صوته أكثر ، وهو يغمغم :

ـ بعد فوات الأوان .

شاركهم (عصام) تأثُّرهم هذه المرة ، وهو يستعيد مشهد بطولة رجل المخابرات ؛ وإنقاذه للطفلين ، قبل أن يلقى مصرعه ، وغمغم :

ـ يا له من بطل !

تنهَّد (ف) ، وقال :

ـ بطولته هذه هى التى كادت تفسد العملية كلها ، فعندما رأى الطفلين يواجهان الموت حرقًا ، تحرَّك بسرعة ، وسعى لإنقاذهما دون تفكير ، ولقد أدهش هذا (ك) بالتأكيد ، ولكنه لم يمنعه من إطلاق النار عليه ، وهو يتصوَّر أنه (أشرف عبيد) ..

وقال ضابط المخابرات الآخر مكملاً :

ـ وعندما وصل الرجل ، الذى أرسلناه لحماية رجلنا ، كان هذا الأخير قد لقى مصرعه بالفعل ، فسرق الرجل سترته ، وفرَّ بالسيارة الـ (بى . إم دابليو) الزرقاء ، حتى لا تنكشف شخصية رجلنا ، ولكن الأمور راحت تتطوَّر بسرعة ، وخشينا أن يؤدى نشر صورته إلى

كشف عملية التبادل هذه للقاتل (ك) ، فينتبه إلى أننا نتابعه ، ويبادر بالفرار ، قبل أن نوقع به ، لذا فقد محونا كل ما يتعلّق برجلنا ، وتركناك تسعى للحصول على صورة (أشرف) الحقيقى ، والتى لن يكشف نشرها أمر رجلنا ، بل ربما يساعدنا على الإيقاع بـ (أشرف) ، وبعده بالقاتل الغامض .

انعقد حاجبا (عصام) بشدة ، وهو يقول :

ـ الآن فقط فهمت كل شىء ؛ فنشر صورة رجلكم قد تؤدى إلى أن ينتبه (ك) هذا إلى أى تغيير فيه ، يمكن أن يكشف أنه ليس (أشرف) الحقيقى .. درجة لون العينين مثلا ، أو بصمة الأذن ، أو غيرها ، أما لو تم نشر صورة (أشرف) فعليًا ، فستنخفض درجة الخطر .

أشار إليه أحد الرجال ، قائلاً :

ـ بالضبط .

التقط (عصام) نفسًا عميقًا ، وهو يهزّ رأسه متفهمًا ، ثم سأل فى شىء من اللهفة :

ـ وماذا عن العميد (عادل) ؟!

ابتسم السيِّد (ف) ، وقال :

ـ اطمئن .. إنه بخير حال ، فى حجرة أنيقة فى مستشفى (وادى النيل) التابع لنا ، ويلقى أفضل رعاية طبية ممكنة .

تنهَّد (عصام) ، وأغلق عينيه ، متمتمًا :

ـ حمدًا للّه .

ثم عاد يفتح عينيه ، ويسأل فى حيرة :

ـ ولكن لماذا ؟!

تطلع إليه الجميع فى تساؤل ، وسأل (ف) :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (عصام) فى شىء من التوتر :

ـ لماذا قررتم الاستعانة بى الآن ، بعد كل ما كبدتمونى إياه من مشاق ، طوال الساعات الماضية ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة ، ثم أجاب السيِّد (ف) فى حزم :

ـ لأن الأمور تغيَّرت ، كما سبق أن أخبرتك يا أستاذ (عصام) .. (أشرف) ظهر ، وذهب فى غباء إلى منزله ، ونحن واثقون من أن (ك) قد وضع أحد رجاله لمراقبة منزل (أشرف) ، وأن ذلك الرجل قد شاهدك تدخل المنزل ، وشاهد (أشرف) يأتى من بعدك ، ومن المؤكد أنه أبلغ (ك) الآن بالأمر ، وسيتصوَّر هذا الأخير أنه هناك صلة ما ، تربطك بـ (أشرف) ، وسيتخيَّل أن كل ما أذاعه التليفزيون، ونشرته الصحف ، مجرَّد لعبة للإيقاع به ، وأنك على دراية بكل هذا .

تضاعف توتر (عصام) ، وهو يقول :

ـ باختصار ، أصبحت أحد أهدافه الآن .

أجابه (ف) فى هدوء مستفز :

ـ بالضبط .

تراجع (عصام) بمقعده فى بطء ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ عظيم .. إذن فينبغى أن أتوقَّع رصاصة فى صدرى ، بين لحظة وأخرى .

قال (ف) بنفس الهدوء :

ـ ليس قبل أن يجرى (ك) اتصاله بك أوَّلاً .

سأله (عصام) فى دهشة .

ـ هل تعتق أنه سيفعل حقًا ؟!

أجابه أحد الرجال :

ـ بالتأكيد .. إنه محترف ، ولن يسعى لقتلك ، قبل أن يعرف ما تعلمه عنه ، وما صلتك بـ (أشرف) بالضبط ، وهذا سيدفعه إلى الاتصال بك حتمًا ، وتحديد لقاء معك .

هتف (عصام) :

ـ آه .. تمامًا كما فعل مع رجلكم .. موعد فى مكان بعيد ، ورصاصة فى الصدر .

أجابه أحد الرجال فى جدية :

ـ اطمئن .. سنمنحك صديرية واقية من الرصاصات .

هتف (عصام) فى حدة :

ـ ولِمَ لا تلقون القبض عليه قبلها ؟!

أجابه (ف) هذه المرة فى حزم :

ـ لأننا لا نريده وحده .

التفت إليه (عصام) بدهشة متسائلة ، فتابع :

ـ إننا واثقون من أن (ك) لا يحتفظ بـ (شارب شوت ـ ١) معه ، وإنما يخفيه مع ذخيرته فى مكان ما ، ولو أننا ألقينا القبض عليه ، فسيظلّ السلاح مختفيًا هنا ، وربما يأتى قاتل محترف آخر لاستخدامه .. إننا نريد السلاح قبل القاتل يا أستاذ (عصام) ، وهو لن يخرجه من مكمنه إلا ليستخدمه .. لقد استخدمه مرة لقتل رجلنا ، ولن يستخدمه مرة أخرى إلا لمحاولة قتلك ، قبل أن يبدأ فى تنفيذ مهمته .

قال (عصام) فى عصبية :

ـ إذن فالمطلوب منى أن ألعب دور الطُّعم ، لإغراء سمكة القرش إخراج أنيابها ، وغرسها فى جسدى ، حتى يطبق عليها الصيادون ، وينتزعوا أنيابها منها .

ابتسم أحد رجال المخابرات ، وقال :

ـ تشبيـه جيد يا أستاذ (عصـام) .. نعم .. هذا ما نطلبه منك بالضبط .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يتطلّع إليهم ، وكلهم يتطلّعون إليه بدورهم ..

لقد انتهوا من شرح ما لديهم ، وينتظرون قراره ..

ولم يتردَّد (عصام) طويلاً ..

وأدلى بقراره ..

وبمنتهى الحزم ..

★ ★ ★

ارتجف جسد (أشرف) ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، وهو يجلس أمام محققى جهاز المخابرات ، قائلاً :

ـ أقسم لكم إننى لم أرتكب أية خيانة للوطن .. كل ما فعلته هو أننى أحضرت ذلك السلاح وذخيرته فحسب .

أجابه أحد المحققين فى صرامة :

ـ ألا تعتبر هذا نوعًا من الخيانة ؟!

هتف مذعورًا :

ـ كلاَّ .. إنها عملية تهريب سلاح فحسب .. حاكمونى بتهمة تهريب السلاح ، وليس بتهمة الخيانة .. أنا لست جاسوسًا .. أقسم لكم .

تبادل الرجال نظرة ذات مغزى ، ثم سأله أحدهم :

ـ كيف يبدو ذلك الرجل ، الذى سلّمته السلاح ؟

أشار بيديه فى توتر ، قائلاً :

ـ طويل القامة ، عريض المنكبين ، كستنائى الشعر ، أخضر العينين ..

سأله أحد الرجال فى اهتمام :

ـ هل يمكنك أن تصفه بدقة أكثر ؟!

بدت عليه الحيرة ، وهو يقول :

ـ كيف ؟!

دفع آخر مقعده نحو جهاز كمبيوتر فى ركن الحجرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ سترى الآن كيف .

وجرت أصابعه بسرعة على أزرار الكمبيوتر ، فظهرت على شاشته تكوينات مختلفة لأشكال الوجوه ، راحت تتحرك فى سرعة متوسّطة ، والرجل يقول :

ـ تابع تلك الأشكال ، وحدِّد شكل وجهه جيدًا .

تعلّق بصر (أشرف) بالشاشة فى لهفة ، حتى هتف :

ـ ها هو ذا .. ذلك الوجه المستدير .

ضغط رجل المخابرات زرًا ، فبرز الوجه المستدير على الشاشة ، وقال الرجل :

- والآن ماذا عن الشعر ؟

وضغط أزرار الكمبيوتر ثانية ، فتتابعت أشكال مختلفة للشعر فوق الوجه ، حتى انتخب (أشرف) شعرًا كستنائيًا غزيرًا ، مصفَّف إلى الخلف ، وقال :

- ها هو ذا .

وتتابعت الملامح واحدة بعد أخرى على الوجه ، و (أشرف) يختارها فى أهتمام ، حتى تكوَّنت صورة واضحة لرجل فى منتصف الأربعينات من عمره، مستدير الوجه ، غزير الشعر ، له شارب ضخم ، وعينين خضراوين واسعتين ، أشار إليها (أشرف) هاتفًا :

- هذا هو ..

بدا الارتياح على وجوه رجال المخابرات ، وضغط أحدهم زر الطباعة ، وهو يقول :

- عظيم .. بعد ساعة واحدة ، ستكون صورته لدى كل أقسام الشرطة ومراكز الأمن ، فى طول البلاد وعرضها .

هتف (أشرف) فى لهفة :

- والآن هل ستطلقون سراحى ؟! لقد تعاونت معكم بإخلاص .. أليس كذلك ؟!

حتى تكوَّنت صورة واضحة لرجل فى منتصف الأربعينات من عمره ، مستدير الوجه ، غزير الشعر ، له شارب ضخم ..

لم يكد يلقى سؤاله ، حتى صدمته تلك الابتسامة الساخرة على وجوههم ، وتلك النظرة التى حملت إليه جوابهم ..

لقد أخطأ طويلاً فى حق نفسه ووطنه ..

وحانت لحظة القصاص ..

العادل ..

★ ★ ★

أوقف القاتل المحترف سيارته الصغيرة أمام منزل من طابقين ، فى منطقة الهرم ، وغادرها الرجل فى هدوء شديد ، ودلف إلى المنزل ، وصعد إلى الطابق الثانى ، ودخل الشقة الوحيدة به ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم اتجه إلى حجرة النوم الرئيسية ، وهو يغمغم فى سخرية :

ـ أراهن على أن صديقنا (أشرف) منهمك الآن فى وصف ملامحى لرجال الأمن المصريين .

وانطلقت من حلقه ضحكة ساخرة طويلة ، وهو يتوقَّف أمام المرآة ، وينتزع عن رأسه ذلك الشعر الكستنائى المستعار ، مستطردًا :

ـ يا له من وقت ضائع !

وبابتسامة واسعة ، جذب الشارب الكث ، وألقاه فوق

الفراش ، ومال بوجهه إلى الأمام ، وهو يدفع جفنيه بسبَّابته وإبهامه ، ليتخلَّص من عدستى عينيه الخضراوين ، وجذب قطعتين من المطاط السميك من تجويفى فمه ، وأنفًا صناعيًّا مطاطيًّا من فوق أنفه ، ثم وقف يتطلَّع إلى وجهه الجديد بابتسامة ظافرة ..

وجهه البيضاوى الحليق ، ذو الرأس الأصلع ، والعينين السوداوين ..

الوجه الذى يختلف تمامًا عن ذلك الوجه ، الذى رآه الجميع ، منذ وصل إلى (مصر) ..

وببساطة ، أخرج الرجل من جيبه جواز السفر ، الذى دخل به إلى (مصر) ، وألقاه فى درج مجاور ، التقط منه جواز سفر جديدًا ، يحوى تأشيرة دخول زائفة لـ (مصر) وفتحه ليلقى نظرة على الصورة الواضحة داخله ..

وكانت صورة تحمل نفس الوجه ، الذى يحمله الآن .

الوجه الجديد ..

واتسعت ابتسامة القاتل ، وهو يهنئ نفسه على عبقريته ..

لقد كان محترفًا بحق ..

محترفًا إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

٥ ـ القاتل ..

تثاءب (عصام) فى إرهاق شديد ، وهو يستقل مصعد الجريدة ، فى الصباح التالى ، وارتكن إلى جداره ، مغمغمًا لنفسه :

ـ مرحى يا (عصام) .. الآن أصبحت هدفًا رسميًا لقاتل محترف من الطراز العنيف ..

وربّت على صدره ؛ ليطمئن إلى وجود الدرع المضادة للرصاص خلف قميصه ، قبل أن يستطرد :

ـ ولندع الله (سبحانه وتعالى) ألا يخالف عادته ، فى إطلاق النار على القلوب مباشرة ..

وشحب وجهه قليلاً ، وهو يكمل :

ـ ولكن ماذا لو خطر بباله التصويب على الرأس مثلاً .

اتسعت عيناه فى شىء من الارتياع ، وهو يتخيّل نفسه بثقب فى منتصف جبهته ، وهزّ رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض عنها هذه الصورة المفزعة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها المصعد إلى الطابق المنشود ،

فغادره بحركة حادة ، جعلته يرتطم برئيس التحرير شخصيًا ، فهتف الرجل :

ـ (عصام) .. ماذا دهاك يا رجل ؟! لقد ارتطمت بى بشدة .

أجابه (عصام) :

ـ معذرة ، ولكننى أشعر بشىء من التوتر هذا الصباح .

ضحك رئيس التحرير ، وهو يقول :

ـ هذا الصباح فحسب ؟! إننى أعهدك متوترًا باستمرار ، منذ التحقت بالعمل فى صفحة الحوادث .. من الواضح أن البحث عن الحقيقة والسعى خلف المعلومات يلهب أعصابك بشدة ..

أجابه (عصام) بشىء من الحدة :

ـ السعى خلف المعلومات دائمًا يصيب المرء بالتوتر ، وخاصة لو منحه بعضهم معلومات خاطئة ، كأن يطلب منه تغطية افتتاح قرية أطفال فى الهرم ، ثم يتضح له أنها فى مدينة (نصر) .

انعقد حاجبا رئيس التحرير ، وهو يقول :

ـ تلك المعلومة الخاطئة كانت من نصيبى أيضًا يا (عصام) ، فالدولة تنشىء سلسلة من قرى الأطفال ،

فى معظم أحيـاء (القـاهرة) و (الجيزة) ، ومندوبنـا أبلغنى أنهـم سيفتتحون قريـة الهرم أوّلاً .. إنـه مجرّد خطأ بسيط .. وعلى أيـة حـال ، سـيتمّ افتتـاح قريـة الأطفال بالهرم صباح بعد غد .. هل ترغب فـى تغطيتـه أيضًا ؟!

لوّح (عصام) بكفه ، هاتفًا :

ـ لا داعى ، فالحوادث تدرك الآن أننى المسئول عن تغطيتها ، وتطاردنى فى كل مكان أذهب إليه .

قالها ، واندفع نحـو مكتبـه ، فتابعـه رئيس التحرير ببصره فى صمت ، ثم لم يلبث أن تمتم :

ـ من يدرى ؟! ربما تجلبها أنت إلى كل مكان تذهب إليه .

لم يسمع (عصـام) هذه العبارة ، وهو يدلف إلى مكتبه ، ويلقى تحية الصباح على زميلته ، التى رمقتـه بنظرة قلقة ، وهى تسأله :

ـ كيف حالك اليوم يا أستاذ (عصام) ؟!

تنهّد فى عمق ، وهو يلقى جسده على مقعده ، قائلاً :

ـ فى غاية التعب والإرهاق ، فلم يغمض لى جفن طوال الليل .

سألته بفضول :

ـ بسبب إجازة عم (توفيق) ؟

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ كلاّ .. بسبب أمر أكثر خطورة .

تضاعف فضولها ، وهى تسأله :

ـ وما هو ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك .

تراجعت مصدومـة بـالجواب ، والتقى حاجباها فـى شىء من الغضب ، إلا أنها لم تلبث أن هزّت كتفيها ، وهمست لنفسها :

ـ مجنون .

ثم عادت تواصل عملها ..

وعلـى الرغم مـن أن أذنـى (عصـام) قـد التقطتـا كلمتها ، إلا أنه تجـاهل هذا ، وتظـاهر بـالعكس ، وهو يسبل جفنيه ، ويسمح لجسده بالاسترخاء على مقعـده ، و ....

وانطلق رنين هاتفه الخاص بغتة ..

ومـع رنينـه ، انتفض جسد (عصام) فـى عنـف ، وقفز يلتقط سمّاعته بحركة حادة ، جعلت زميلته تهتف مستنكرة :

ـ رويدك يا رجل .. إنه مجرَّد اتصال هاتفى .

تجاهلها (عصام) تمامًا ، وهو يضع السمَّاعة على أذنه ، قائلاً :

ـ أنا (عصام كامل) .. من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت صارم جاف ، يقول :

ـ إنه أنا يا أستاذ (عصام) .. أراهن على أنك تعرفنى ، دون حتى أن أحدِّد شخصيتى .

سرى توتر عنيف فى جسد (عصام) ، وانقبضت كل خلية من خلاياه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ماذا تريد ؟!

أجابه (ك) فى هدوء :

ـ أريد أن ألتقى بك يا أستاذ (عصام) .

كاد (عصام) أن يسأله أين يرغب فى الالتقاء به ، إلا أنه تذكَّر تعليمات رجال المخابرات ، فقال فى حدة :

ـ لماذا ؟!

أجابه الرجل :

ـ أريد أن ألقى عليك بضعة أسئلة .

قال (عصام) فى حدة :

ـ وماذا عن الهاتف ؟! ألا يصلح لإلقاء الأسئلة ؟!

أطلق الرجل ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ لو أن الهاتف مراقب ، فهو لا يصلح للاستخدام ، بأى حال من الأحوال ، أكثر من خمسين ثانية ، وهى الفترة الكافية لتعُقب مصدر المحادثة ، ولقد مضت أربع وأربعون ثانية منها .. لذا ..

أنهى المحادثة بغتة ، على نحو احتقن له وجه (عصام) ، وانعقد لها حاجباه فى غضب ، وهو يستمع إلى الرنين المتقطِّع من الطرف الآخر قبل أن يعيد السماعة إلى موضعها ؛ فسألته زميلته الفضولية ، وهى تتطلع إليه فى اهتمام :

ـ ما الذى أحنقك فى هذه المحادثة ؟!

أجابها فى شىء من الخشونة :

ـ لا تشغلى نفسك بهذا .

بدا الغضب عليها واضحًا ، ولكنها عادت تمارس عملها ، فى حين وضع هو يده على سمَّاعة الهاتف ، وقلبه يخفق فى قوة ..

الرجل يتصرَّف حقًا كمحترف ، ولا يترك خلفه أدنى أثر ، يمكن أن يقود إليه ..

بل ولا يرتكب أية أخطاء ..

من المؤكَّد أنه أجرى تلك المحادثة من هاتف عام ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يسمح لهم بتحديد مصدره ..

ولكنه لم يقل كل ما عنده بعد ..

وسيعاود الاتصال مرة أخرى حتمًا ..

وتشبَّثت أصابع (عصام) بسمَّاعة الهاتف ، التى تعلَّقت بها عيناه ، وقلبه يخفق فى انتظار الاتصال التالى ، و ....

وفجأة ، انطلق رنين الهاتف ..

وعلى الرغم من أن (عصام) كان يتوقع هذا الاتصال وينتظره ، إلا أنه لم يتسطع منع تلك الانتفاضة العنيفة ، التى تفجَّرت فى كيانه كله ، وهو يرفع السمَّاعة إلى أذنه ، قائلاً بأنفاس مبهورة :

ـ هنا (عصام كامل) .

أجابه ذلك الصوت الصارم الجاف ، فى شىء من الحزم :

ـ مقهى (النيل هيلتون) .. التاسعة مساءً .

قال (عصام) فى دهشة :

ـ عجبًا !.. كنت أتصوَّر أن .....

قبل أن يتمّ عبارته ، أنهى الرجل الاتصال بغتة ، فاحتقن وجه (عصام) ثانية ، وأعاد السمَّاعة إلى موضعها فى بطء ..

وعلى الرغم من الفضول المستعر فى أعماقها ، لم تحاول زميلته سؤاله عن الموقف ، وإنما رمقته بنظرة طويلة ، ثم عاودت عملها ..

أما هو ، فكان عقله يشتعل من شدة التفكير ..

لماذا اختار (ك) مكانًا عامًّا كهذا ؟!

أليس من المفترض أن يقع اختياره على مكان مقفر ؟!

ما الذى يمكنه عمله فى مقهى فندق شهير مثل (النيل هيلتون) ؟!

أم أنه قاتل أرستقراطى النزعة(★)؟!

ظلّ عقله يقلب الأمر على كل الوجوه لساعة أو يزيد ، وهو ينتظر أى اتصال جديد من (ك) ، ثم لم يلبث أن غادر مكتبه ، وهبط إلى (الكافتيريا) ، وجلس على ثالث مائدة إلى اليسار ، وطلب كوبًا من الشاى بدون سكر ، وراح ينتظر ، كما شرحوا له فى جهاز المخابرات ، فى ليلة أمس ..

ولم يطل انتظاره ، إذ دلف إلى المكان وجه غير مألوف ، جلس صاحبه على المائدة نفسها ، وهو يبتسم قائلاً :

(★) الآرستقراطية : كلمة يونانية تعنى (سلطة خواص الناس) ، وهى فكرة سياسية تدين بوجودها إلى (أفلاطون) فى مؤلفه (الجمهورية) ، ولكن الكلمة ارتبطت فى (مصر) بالإقطاع والرأسمالية والطبقات الثرية .

ـ أستـــاذ (عصـــــام) .. كم يسعدنى أن ألتقـى بك شخصيًا .. إننى أتابع منذ فترة تلك التحقيقات الرائعـة ، التى تنشرها فى صفحة الحوادث ، بتوقيع (م ـ ع × ٢) .

كان ذلـك التغيير فـى التوقيـع إشـارة إلـى أن الرجـل يتبـع المخـابرات العامـة ، فخفـض (عصـام) صوتـه ، وقال :

ـ (ك) اتصل بى بالفعل .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعلم هذا .. لقد سجلنا المحادثتين .

تنهَّد (عصام) ، قائلاً :

ـ ولكنـه يطلـب مقابلتـــى فـى مكـــان عـــام .. مـاذا تقترحون ؟!

أجابه الرجل فى هدوء :

ـ أن تذهب لمقابلته .

سأله (عصام) فى عصبية :

ـ ثم ماذا ؟!

أجابه بنفس الهدوء :

ـ ثم اترك له تحديد الخطوة التالية .

سأله (عصام) فى دهشة :

ـ أية خطوة تالية ؟!

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسـامة غامضـة ، وهـو يقول :

ـ ستعرف بنفسك يا أستاذ (عصام) .. وفى الوقت المناسب .

قالهـا ، ونهـض ينصـرف ، دون أن يضيـف حرفًـا واحدًا ، ووجهه مازال يحمل ذلك الشىء ، الذى استفزّ مشاعر (عصام) بشدة ..

الابتسامة ..

الابتسامة الغامضة ..

★ ★ ★

« هـل تعتقـد أن (عصـــام) يمكنـــه أداء المهمـــة بنجاح ؟! »

ألقى (عادل) السؤال على العميد (صبرى) ، وهو يجلس فى فراشه ، فـى حجرتـه الخاصـة بالمستشفى ، والقلق يطلّ مـن كـل خلجـة مـن خلجاتـه ، ويفيـض فـى نبرات صوته ، على نحو ابتسم لـه العميد (صبرى) متعاطفًا ، وهو يجيب :

ـ اطمئن يا (عادل) .. صحيح أن شريكك (عصام) مدنى ، ولم يختبر حياتنا بجديـة من قبل ، إلا أنه ، مثل

أى عميل لنا ، لا يتحرّك أبدًا بمفرده .. إننا نتابعه فى كل لحظة ، ونؤمّن له الحماية المطلوبة طوال الوقت .

غمغم (عادل) :

ـ أتعشّم هذا ، فهو يواجه محترفًا هذه المرة .

أومأ العميد (صبرى) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ نعلم هذا .. اطمئن .

ران عليهما الصمت بضع لحظات ، ثم سأله (عادل) :

ـ هل تعتقد أن (ك) هذا سيقابله بالفعل فى مقهى (النيل هيلتون) ؟

هزّ (صبرى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. لست أعتقد هذا على الإطلاق .. المرجّح أنه سيتصل به هناك على نحو ما ، ويحدّد له نقطة أخرى للقاء .

سأله (عادل) :

ـ مثل ماذا ؟!

صمت (صبرى) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ مثل أى مكان لا يمكننا توقّعه الآن .. لا تنس أنه محترف .

هزّ (عادل) رأسه ، مغمغمًا :

ـ لا يمكننى نسيان هذا أبدًا .

وتنهّد قبل أن يضيف فى حدة :

ـ وهذا ما يملأ نفسى قلقًا .

تطلّع إليه (صبرى) لحظة ، ثم قال :

ـ اطمئن يا صديقى ، فما دمنا نتابع الموقف أوّلاً فأولا ، ومادام (عصام) يتبع تعليماتنا بدقة ، فالأمور لن تخرج من بين أصابعنا قط ..

وصمت لحظة أخرى ، ثم كررّ فى حزم :

ـ اطمئن .

نطقها وهو يبث فيها أكبر قدر أمكنه تصنّعه ، من الثقة والهدوء والاطمئنان ، على الرغم من أنه يفتقر فعلاً إلى هذا القدر منها فى أعماقه ..

فالرجل الذى يواجهونه محترف على أعلى مستوى .

ولا أحد يمكنه التنبؤ بخطواته التالية ..

لا أحد على الإطلاق ..

★ ★ ★

سرت موجة عنيفة من التوتر فى جسد (عصام) ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، فى مقهى (النيل هيلتون) ، ويتحسّس جسده فى عصبية ..

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة ببضع دقائق ، دون أن يظهر (ك) ، و (عصام) يشعر وكأنه قد تحوّل إلى ترسانة مسلّحة ، مع الدرع المضاد للرصاص ، وأجهزة التسجيل المثبتة فى حزامه وتحت إبطه ..

ثم إنه يجهل ما ستكون عليه الخطوة التالية ..

صحيح أن رجال المخابرات وعدوه بمراقبته وحمايته طوال الوقت ، ولكنه ما زال يشعر بتوتر بلا حدود ، وهو ينتظر مقابلة (ك) فى أية لحظة ..

وفى عصبية ، راح (عصام) يتلفّت حوله ..

كل شخص يجلس بمفرده بدا له أشبه بالقاتل ..

الطويل والقصير ..

البدين والنحيل ..

وحتى الكهول والشيوخ ..

كل شخص ..

وفى بطء مستفز ، مضى الوقت دقيقة بعد دقيقة ، وتوتر (عصام) يتضاعف أكثر وأكثر ..

وفى احترام ، اتجه إليه نادل المقهى ، وناوله ورقة مطوية ، وهو يقول :

ـ رسالة لك يا أستاذ (عصام) .

حدّق (عصام) فى وجهه بدهشة كبيرة ، ثم نقل بصره إلى الورقة بشىء من الخوف ، وهو يسأله :

ـ رسالة ؟! ومن أرسل هذه الرسالة ؟!

ابتسم النادل ، قائلاً :

ـ طفل صغير أحضرها ، وقال : إنها للأستاذ (عصام كامل) ، الشهير بـ (ع × ٢) ، ثم انصرف على الفور .

تلفّت (عصام) حوله فى عصبية ، وكأنه يبحث عن ذلك الطفل ، ثم لم يلبث أن التقط الرسالة بأطراف أصابعه ، وهو يبذل قصارى جهده لمنعها من الارتجاف ، ولم يكد النادل يبتعد ، حتى فضّها بسرعة ، وقرأ فيها سطرًا واحدًا يقول :

ـ دورة المياه الرئيسية .. فورًا ..

هبَّ (عصام) من مقعده ، واندفع نحو دورة المياه الرئيسية ، واقتحمها على نحو مثير للدهشة ، جعل العامل النوبى فيها يتلفت إليه حائرًا ، ولكنه لم يكد يرى وجهه ، حتى هتف :

ـ أستاذ (عصام كامل) .. كم يسعدنى أن ألتقى بك شخصيًا .. إننى أتابع تحقيقاتك بلهفة وإعجاب ، و ....

قاطعه (عصام) فى توتر شديد :

ـ هل تحمل رسالة لى ؟!

حدَّق العامل فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يقول مبهورًا :

ـ يا إلهى !.. هذا صحيح يا أستاذ (عصام) .. إنك عبقرى بالفعل ، كما قالوا عنك .

سأله (عصام) بنفاد صبر :

ـ أين الرسالة ؟!

ناوله العامل مظروفًا مغلقًا ، وهو يجيب :

ـ ها هى ذى يا أستاذ (عصام) ، وهناك تلك الحقيبة أيضًا .

التفت (عصام) بحركة حادة إلى حقيبة أوراق صغيرة ، فى ركن المكان ، ثم أسرع يفضّ المظروف ، ولم يكد يفعل حتى سقطت منه دبلة ذهبية صغيرة فى يده ، اتسعت لمرآها عيناه ، وخفق معها قلبه فى عنف ، وهو يختطفها فى لهفة ، ويحدّق فى الاسم المحفور داخلها فى ارتياع ..

كانت نفس الدبلة ، التى خشى أن تكونها ..

دبلة خطيبته (نهلة) ..

الدبلة التى تحمل اسمه داخلها ..

وفى غضب ، هتف (عصام) :

ـ يا للوغد !

قالها ، وعيناه تمسحان الخطاب فى سرعة ، وكلماته تقول :

ـ برافو يا أستاذ (عصام) .. أراهن على أنك تعرّفت الدبلة الذهبية من اللحظة الأولى .. وأراهن أيضًا على

قالها ، وعيناه تمسحان الخطاب فى سرعة ، وكلماته تقول :

ـ برافو يا أستاذ (عصام) ..

أنكم تعلم الآن أن صاحبتها فى ضيافتى .. اسمها (نهلة) ، وهى جميلة بحق .. لو أن لديك ذرة شك فى أنها فى قبضتى اتصل بهاتف منزلها ، وسيخبرك والدها الطبيب الشهير بأنها لم تعد بعد ، على الرغم من أنها أنهت عملها فى (التليفزيون) فى تمام السابعة والنصف ، وانصرفت منه فورًا إلى المنزل .. أما لو كنت ترغب فى استعادتها ، فنفذ تعليماتى حرفيًا ، واستبدل بثيابك تلك الملابس الموضوعة فى الحقيبة ، وضع الشارب المستعار والمنظار ، وغادر الفندق إلى ذلك المقهى الشهير ، فى أوّل (باب اللوق) .. مع ملاحظة ضرورة نزع أدوات التنصت والدرع الواقية من الرصاصات ، الذى منحك إياه رجال الأمن حتمًا .. أمامك عشر دقائق فحسب لتفعل ، وحذار أن يتبعك أحد إلى المقهى .. تذكّر .. اسمك الجديد (راغب إسحق) .

راح جسد (عصام) كله يرتجف من فرط الانفعال ، وهو يختطف الحقيبة ، ويبدأ فى استبدال ثيابه ..

كان يدرك جيدًا أنه يفسد العملية كلها بعمله هذا ، ولكنه لم يستطع المخاطرة بترك خطيبته (نهلة) فى قبضة مجرم كهذا ..

وخلال دقيقة وبضع ثوان ، كان قد انتزع أجهزة التنصُّت والدرع الواقية من الرصاصات ، واستبدل بثيابه تلك التى كانت داخل الحقيبة ، ثم ثبَّت الشارب المستعار تحت أنفه ، وغادر المكان بسرعة ، وهو يقول للعامل النوبى فى توتر شديد :

ـ احتفظ بأشيائى عندك حتى أعود .

تابعه العامل فى انبهار ، وهو يقول :

ـ إنها مغامرة جديدة يا أستاذ (عصام) .. أليس كذلك ؟!

لم يسمعه (عصام) ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، ويتحرَّك بأقصى سرعة مغادرًا المكان ، وراح يعبر الشارع فى خطوات سريعة ، أقرب إلى العدو ، وهو يتساءل فى حنق : كيف ظفر ذلك الوغد بخطيبته (نهلة) ؟!

بل كيف عرف أنها خطيبته ؟!

لابد أنه استغل الوقت فى جمع المعلومات عنه .

إنه محترف بحق ..

وإلى أقصى حد ..

كان يلهث بشدة ، وهو يعدو نحو ذلك المقهى الشهير ، وعقارب الساعة تعدو بسرعة زائدة ، وكأنما أصابها جنون مطبق ..

ولأوّل مرة فى حياته ، يشعر بالغضب من نظرية النسبية لـ (أينشتين) ..

الوقت يمضى بسرعة ، عندما نحتاج إليه ، ويتهادى فى بطء مستفز ، عندما نتعجّله ..

ومنذ دقائق قليلة ، كان يستحث عقارب ساعته على المضى ، وها هو ذا الآن يتضرع إليها أن تتوقّف ..

وعندما بلغ المقهى ، كان لهاثه عنيفًا للغاية وهاتف المقهى يرن ، ويرن .. ويرن ..

والتقط صبى المقهى سمّاعة الهاتف ، واستمع إلى المتحدّث لحظة ، قبل أن يهتف بصوته الجهورى :

ـ مكالمة للأستاذ (راغب إسحق) .

أسرع إليه (عصام) ، وهو يلهث ، هاتفًا :

ـ أنا (راغب إسحق) .. أعطنى سمّاعة الهاتف .

واختطف السمّاعة من يد الصبى ، وقال فى عصبية :

ـ اسمع أيها الوغد .. لو مسست شعرة واحدة من رأس (نهلة) ، فسوف ...

قاطعته ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول صاحب الصوت الصارم الجاف :

ـ رويدك أيها البطل .. خطيبتك هنا ، وهى ترغب فى التحدُّث إليك .

قبضت أصابع (عصام) على سمّاعة الهاتف فى قوة ، عندما سمع صوت خطيبته (نهلة) ، تقول فى ذعر :

ـ (عصام) .. أنقذنى يا (عصام) .. هذا الرجل مجنون بحق .. إنه ..

بترت عبارتها بشهقة ألم ، نقل الهاتف بعدها صوت (ك) الصارم الجاف ، وهو يقول :

ـ ستجد سيارة أجرة فى انتظارك ، عند ناصية محل (تسييلس) ، فى شارع (قصر العينى) .. أخبر السائق أنك (ماهر سليمان) ، وسينقلك إلى النقطة التالية .. هيا .. السائق سينصرف بعد اثنتى عشرة دقيقة بالضبط .

هتف به (عصام) :

ـ أيها الوغد الحقير .

التفت إليه رواد المقهى فى دهشة ، فى حين أطلق (ك) ضحكة ساخرة ، وأنهى الاتصال بحركة حادة ، فألقى (عصام) سمّاعة الهاتف من يده ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته ، نحو شارع (قصر العينى) ..

كان الرجل يختار مواعيده بدقة شديدة ، بحيث لا يمهل (عصام) سوى الوقت الكافى لبلوغ نقطة اللقاء فحسب ..

أسلوب مثالى لإفساد أى نظام للتَتبُّع والمراقبة ..
بل ولتحطيم قوة الخصم وأعصابه أيضًا ..
فمع العدو بهذه السرعة ، راح قلب (عصام) يدق فى عنف ، وأنفاسه تتلاحق فى شدة ، وبلغ توتر أعصابه الحد الأقصى ..
ومرة أخرى ، راحت الدقائق تمضى بسرعة مخيفة ، وهو يعدو ، ويعدو ، ويعدو والمارة يتطلعون إليه فى دهشة وفضول ، وقد سقط نصف شاربه ، المستعار ، وتدلَّى على نحو مضحك ..
وعندما بلغ منطقة اللقاء ، كان سائق سيارة الأجرة يستعد لمغادرة المكان ، فلوَّح له بذراعه ، هاتفًا :
ـ انتظر يا رجل .. أنا (ماهر سليمان) .
مطَّ الرجل شفتيه ، قائلاً :
ـ أين أنت يا هذا ؟! إننى أنتظرك منذ فترة ، والمفترض أن أنصرف الآن .
دفع (عصام) جسده داخل السيارة ، وهو يقول :
ـ فليكن .. انصرف .. هيا .
وواصل لهاثه ، وهو يغلق عينيه فى المقعد الخلفى للسيارة ، ويضع يده على قلبه ، وكأنه يحاول إيقاف خفقاته العنيفة ..

وانطلقت به سيارة الأجرة ، دون أن يتبادل معه سائقها حرفًا واحدًا ..
ولم يدر (عصام) كم استغرق انطلاقها ، ولكنها عندما توقَّفت ، وجد نفسه فى بداية طريق الإسكندرية الصحراوى ، فسأل السائق فى توتر :
ـ هل سأهبط هنا ؟!
أجابه السائق ، وهو يناوله ورقة مطوية التصق طرفاها بشريط لاصق من البلاستيك :
ـ إننى أنفذ التعليمات .. ستهبط هنا مع هذه الرسالة .. لا تفضَّها إلا بعد أن أنصرف .
التقط (عصام) الرسالة وغادر السيارة ، فانصرف سائقها على الفور ، ولم يكد يبتعد ؛ حتى فضَّ (عصام) الورقة فى لهفة ، وأمالها لتقع عليها الأضواء البعيدة ، وقرأ فيها :
ـ لم تعد أمامك سوى خطوة واحدة يا أستاذ (عصام) .. انظر أمامك ، على بعد مائتى متر ، وستجد مبنى يشبه ذلك الذى بدأت عنده الأحداث .. هل تعرَّفته .. نعم يا أستاذ (عصام) .. إنها قرية الأطفال الجديدة المقررّ افتتاحها بعد غد .. قرية الهرم .. هل ترى كم أنا رومانسى يا أستاذ (عصام) .. لقد بدأت الأحداث فى قرية للأطفال ، وستنتهى فى قرية أخرى للأطفال ..

هيا .. اتجه إلى هناك مباشرة ، ودعنى أراك فى وضوح طوال الوقت ، لأتأكد من أن أحدًا لا يتبعك ..

خفق قلب (عصام) فى عنف ، وهو يقطع الطريق إلى قرية الأطفال الجديدة ، متسائلاً فى خوف : هل يصوِّب القاتل سلاحه إليه الآن ؟!

هل سيطلق النار عليه مباشرة ، أم سينتظر لسماع ما لديه ، كما أكَّد له رجال المخابرات ؟!

ولكن ما الفارق ؟!

الرجل سيقتله حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً ..

ربما يتأكَّد أوَّلاً مما لديه من معلومات ، ولكنه سيقتله حتمًا فى النهاية ..

من الواضح أنه لا يترك أى أثر خلفه ..

أى أثر ..

أو أى شاهد ..

وعلى الرغم من ثقته فى هذا ، فقد واصل (عصام) تقدّمه نحو قرية الأطفال الخالية ..

كان المكان مظلمًا ، لا أثر فيه لطاقم حراسة ، أو حتى خفير عادى بسيط ..

لا ريب فى أن القاتل قد تخلَّص من رجال الحراسة ؛ ليخلو له الجو ..

ولكن أين هو ؟!

وأين (نهلة)؟!

وبلا تردُّد ، دلف (عصام) إلى القرية ، وأدار عينيه فيها ، محاولاً اختراق الظلام ..

ومن حسن حظه أن القمر كان بدرًا فى تلك الليلة ، مما أتاح له قدرًا مناسبًا من الرؤية ، وهو يتقدَّم داخل القرية أو ....

« فى موعدك بالضبط يا أستاذ (عصام) .. »

انطلق الصوت من خلفه مباشرة ، فاستدار (عصام) إليه فى حركة عنيفة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى خطيبته (نهلة) ، المقيَّدة المعصمين والمكممة الفم ، وإلى ذلك الرجل القوى ، الذى يمسك عنقها فى قوة ، ويلصق فوهة بندقية ضخمة أسفل ذقنها ..

وكانت المواجهة الفعلية مع القاتل ..

مع (ك) .

★ ★ ★

٦ ـ المواجهـــة ..

لدقيقة كاملة تقريبًا ، هبط صمت ثقيل على المنطقة كلها ، و (عصام) والقاتل يتبادلان نظرة صارمة متحدية ، و (نهلة) تنقل بصرها بينهما فى رعب هائل بلا حدود ..

ثم قطع (ك) ذلك الصمت ..

قطعه ، وهو يبتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ كنت واثقًا من أنك ستأتى ، وستنفذ كل التعليمات بلا تردُّ ، فأمثالك يقيمون وزنًا كبيرًا للعواطف والمشاعر .

أجابه (عصام) فى غضب :

ـ وأمثالك لا يقيمون وزنًا لأسمى المعانى الآدمية .

قال (ك) فى سخرية :

ـ بل قل لنقاط الضعف السخيفة ، ففى عالمنا لا مجال لتلك العواطف والمشاعر الرقيقة أيها الصحفى ، والتى لا تعنى أكثر من نقاط ضعف ، يمكن استغلالها للإيقاع بالخصم .

ودفع فوهة سلاحه فى عنق (نهلة) ، مستطردًا :

ـ وهأنتذا ترى كم هو سلاح فعَّال .

شعر (عصام) بالتوتر ، عندما تأوهت (نهلة) فى ألم ، وقال فى شىء من الحدة والعصبية :

ـ اتركها أيها الوغد .

ابتسم (ك) فى سخرية أكثر ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. لم تعد بى حاجة إليها ، ما دامت قد أتت بك إلىَّ .. خذها يا رقيق المشاعر .

قالها ، وهو يدفع (نهلة) نحو (عصام) فى قسوة ، فالتقطها هذا الأخير بين ذراعيه ، وهو يهتف :

ـ أيها الوغد الحقير .

أطلق القاتل ضحكة ساخرة عالية ، ولوَّح بسلاحه فى وجهيهما ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك : إنك مرهف الحس ؟

تجاهله (عصام) هذه المرة ، وهو يحلّ وثاق خطيبته ، ويزيل كمامتها فى لهفة ، فانفجرت باكية ، وهتفت :

ـ إنه أمر فظيع يا (عصام) .. فظيع .. هذا الرجل مجنون .. إنه سيقتلنا حتمًا يا (عصام) .

ربَّت عليها فى حنان ، وهو يرمق القاتل بنظرة غاضبة ، جعلت هذا الأخير يبتسم فى سخرية ، قائلاً :

شعر (عصام) بالتوتر ، عندما تأوَّهت (نهلة) فى ألم ، وقال فى شىء من الحدة والعصبية : ـ اتركها أيها الوغد ..

ـ صدقها أيها الصحفى الهمام ، فالقتلة المحترفون لا يتركون شهودًا خلفهم فى المعتاد .

قال (عصام) فى عصبية :

ـ من الواضح أنك تجيد تغيير ملامحك ، فأنت تبدو مختلفًا عن تلك الصورة ، التى رسمها الكمبيوتر ، بناء على الوصف الذى أدلى به (أشرف) فماذا يعنيك من أمر الشهود .

أجابه الرجل بسرعة :

ـ للاحتياط أيها العبقرى .. من يدرى ، ربما كان أحدهم يجيد تعرُّف بصمة الأذن ، أو يحفظ شكل العينين .

قال (عصام) ، وهو يضمّ (نهلة) إليه :

ـ من الواضح أنك شديد الحرص .

لوَّح الرجل بسلاحه ثانية ، وهو يقول :

ـ أكثر مما تتصوَّر .

ثم انفجر ضاحكًا قبل أن يتابع :

ـ ومما يتصوَّر رجال الأمن عندكم .. أراهن على أنهم يضربون أخماسًا فى أسداس الآن ؛ لمعرفة سر اختفائك المفاجئ .

شعر (عصام) بمرارة شديدة ، وهو يستمع إليه ، ولام نفسه ألف مرة ؛ لأنه وضع نفسه فى هذا المأزق ، وتساءل فى أعماقه : أهناك بالفعل مخرج من كل هذا ، أم أنها النهاية حقًّا ؟!

ومع اشتعال أعماقه بالأسئلة ، وجد نفسه يقول فى حدة :

ـ ما الذى تريده منى ؟!

ابتسم القاتل ، وقال :

ـ كل شىء يا أستاذ (عصام) .. كل ما لديك عنى .

سأله (عصام) فى عصبية :

ـ ولماذا تعتقد أن لدى معلومات عنك ؟!

أجابه القاتل فى سرعة :

ـ لأنك صحفى ، وكل الصحفيين يتميزون بالفضول ، ومن المستحيل ألا تحاول جمع كل المعلومات الممكنه عن خصمك .

ثم تراجع برأسه لحظة ، قبل أن يضيف فى بطء وهو يتمعَّن فى ملامح (عصام) وعينيه ، ليدرس رد فعله :

ـ ولأنك صديق لـ (أشرف عبيد) .

أجابه (عصام) :

ـ لست صديقًا لذلك الوغد .. لقد أسهمت فحسب فى خطة الإيقاع به .

كان يتصوَّر أن إجابته ذكية بارعة ، ولكنه فوجئ برد فعل أعنف مما توقَّع ..

لقد انعقد حاجبا القاتل فى شدة ، وقال فى عنف :

ـ أسهمت فى خطة للإيقاع به ؟! أتعنى أن سلطات الأمن لديكم تعرف كل شىء منذ البداية ؟!

ارتبك (عصام) ، وهو يقول :

ـ ليس بالضبط ، ولكن ..

قاطعه القاتل بصرخة غاضبة :

ـ إياك أن تحاول الكذب أو الخداع .

قالها ، وهو يصوِّب فوهة سلاحه إلى (عصام) و(نهلة) فى غضب ، فصرخت (نهلة) فى رعب ، فى حين تراجع (عصام) فى حركة حادة ، وهو يهتف :

ـ لست أكذب أو أخادع .. إنها الحقيقة .

قال القاتل فى غضب شديد :

ـ ليست الحقيقة يا رجل .. هناك أمور لا يمكننى فهمها ، والحقيقة وحدها تجعلها واضحة مفهومة ..

سأله (عصام) فى توتر :

ـ ما الذى تريد معرفته ؟

قال الرجل فى شراسة :

ـ لقد أطلقت النار على (أشرف) ، عندما انتابته موجة الكرم والشجاعة ، فى قرية الأطفال الأخرى ، فى مدينة (نصر) ، ورأيت الدماء تتفجَّر من صدره ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فكيف عاد للحياة على هذا النحو ؟!

غمغم (عصام) فى عصبية ، وهو يدير عينيه فيما حوله ؛ بحثًا عن وسيلة للخروج من هذا المأزق :

ـ لا أحد يعود إلى الحياة بعد الموت ، إلا بإذن اللّه (العلى القدير) .

صاح به القاتل :

ـ اشرح لى إذن كيف حدث هذا ؟!

اعتصر (عصام) مخه ، فى محاولة لإيجاد تفسير منطقى للموقف ، إلا أنه عجز عن التفكير ، فى هذا الموقف المتوتر ، فقال :

ـ الذى قتلته لم يكن (أشرف) الحقيقى .

انعقد حاجبا القاتل أكثر ، وهو يحدِّق فى وجهه ، قبل أن يغمغم :

ـ ليس (أشرف) الحقيقى ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابه (عصام) ، وتوتره يتضاعف ويتضاعف :

ـ إنه عميل للأمن المصرى .

اتسعت عينا القاتل ، على الرغم من انعقاد حاجبيه ، عند سماعه الجواب ، وكأنما أزعجه كثيرًا أن يعلم أن الأمن المصرى يتابع الموقف منذ البداية ، وغمغم :

ـ آه .. الأمر هكذا إذن .

وعاد يرفع سلاحه ، مستطردًا :

ـ هذا كل ما أردت معرفته .

شهقت (نهلة) رعبًا ، وتشبَّثت بـ (عصام) ، وهى تدفن وجهها فى صدره ، فى حين اتسعت عينا هذا الأخير ذعرًا ، وهو يدرك أن ذلك القاتل لن يتردَّد فى قتلهما بلا رحمة ، وبحث عقله عن أية وسيلة لإضاعة الوقت ، فهتف :

ـ إنهم يعلمون بأمر خطتك التى تهدف إلى اغتيال عدد من كبار الوزراء والمسئولين .

ابتسم القاتل فى سخرية ، قائلاً :

ـ أمر طبيعى ، ولكنهم لن يستطيعوا منعى من تنفيذ العملية على أكمل وجه .

قال (عصام) فى توتر :

ـ ربما كانت لديهم وسيلة لهذا .

هزَّ القاتل رأسه نفيًا فى سخرية ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. ما زال هناك الكثير مما يجهلونه .

بكت (نهلة) فى صدر (عصام) ، وهى تقول :

ـ سيقتلنا يا (عصام) .. سيقتلنا بلا رحمة .

زاغت عينا (عصام) ذعرًا ، وهتف كمحاولة أخيرة :

ـ هذا السلاح هو (شارب شوت ـ ١) .. أليس كذلك ؟!

نجحت محاولته هذه المرة على نحو مدهش ، فقد انعقد حاجبا القاتل فى شدة ، وخفض فوهة سلاحه ، وهو يسأله فى عصبية :

ـ ما الذى تعلمه عن (شارب شوت ـ ١) ؟!

ازدرد (عصام) لعابه فى صعوبة ، قائلاً :

ـ (شارب شوت ـ ١) بندقية قنص من طراز خاص ، مزوَّدة بأحدث وسائل التكنولوجيا الحديثة ، فمنظارها يمكنه تكبير المشهد مائة مرة إليكترونيًا ، بالنظام الرقمى ، ويستخدم شعَاعًا من الليزر لإحكام التصويب ، ورصاصاتها ذات نظام توجيه ذاتى ، أشبه بالصواريخ التليفزيونية(★) ، أو الطوربيدات الحديثة(★★) ، وهى رصاصات متفجرة ، وما إن

(★) الصواريخ التليفزيونية : هى صواريخ مزوّدة بكاميرات فيديو خاصة ، لنقل المشهد أمامها ، بحيث يتم توجيهها من الأرض نحو الهدف .

(★★) الطوربيدات الحديثة يتم تحديد هدفها ، ثم تنطلق لتطارده بالذات، مهما بلغت براعة مناوراته ودقتها .

تخترق الجسد حتى تتفجَّر داخله ، وتنسف أعضاءه الداخلية نسفًا ، على نحو أشدّ مما كانت تفعله رصاصات (دمدم) القديمة(★).

ازداد انعقاد حاجبى القاتل بشدة ، وهو يستمع إليه ، قبل أن يغمغم فى لهجة مخيفة :

ـ من الواضح أنك تعلم الكثير يا أستاذ (عصام) .. أكثر مما توحى به ..

شعر (عصام) بالقلق ، مع تلك اللهجة ، وغمغم فى توتر بالغ ، وهو يشير بيده إشارة غير ذات مغزى :

ـ هذا كل ما لدى من معلومات ، وكل ما أعـ .....

وبتر عبارته بغتة ، وهو ينظر إلى نقطة ما خلف الرجل ، صائحًا :

ـ اهجم يا (عصمت) .

كانت خدعة نمطية ، قديمة قدم الدهر ، إلا أنها أفلحت وبشدة ، فقد استدار القاتل فى سرعة ؛ ليواجه ذلك الخصم الوهمى ، الذى أوحى إليه (عصام) بوجوده ، ولم يكد يفعل ، حتى اندفع (عصام) نحو حجر كبير فى الأرض واختطفه فى نفس اللحظة التى استدار إليه القاتل ثانية ، وهو يهتف :

(★) رصاصات (دم دم) : نوع محرَّم دوليًا من الذخيرة ، يتفجَّر إلى شظايا صغيرة داخل الجسم .

ـ خدعتنى أيها الصحفى الـ ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، قذفه (عصام) بالحجر بكل قوته ، وهو يصيح :

ـ اجرى يا (نهلة) .. اجرى .

أصاب الحجر القاتل فى وجهه ، فتراجع بحركة حادة ، قبل أن يقع على ظهره ، و(نهلة) تهتف :

ـ لن أجرى وحدى .

أمسك (عصام) يدها ، وانطلق يعدو معها بكل قوته ، قبل أن ينهض القاتل من كبوته ..

كان يرغب فى مغادرة القرية كلها ، ولكنه انتبه إلى أن القرية تقع فى منطقة خالية من المبانى ، وخروجهما منها سيجعلهما ينطلقان تحت ضوء القمر ، فى مساحة واسعة ، ليس بها جدار واحد يمكن الاحتماء به ، مما يجعلهما هدفًا سهلاً لقاتل مثله ، يحمل سلاحًا إليكترونيًا فعّالاً ، لذا فقد جذب (نهلة) نحو المبنى الإدارى للقرية ، هاتفًا :

ـ من هنا .

وفى نفس اللحظة ، التى نهض فيها القاتل ، كانا قد اختفيا داخل المبنى الصغير المكّون من طابقين ..

وفى غضب ، مسح القاتل خيط الدم ، الذى سال على جبهته ، من أثر الإصابة ، وأدار عينيه فيما حوله ، ثم قال بصوت مرتفع :

ـ لن يمكنك الإفلات بفعلتك هذه أيها الصحفى .

بدى له المكان صامتًا ساكنًا ، مما ضاعف من غضبه ، فاتجه إلى البوّابة المعدنية للمكان ، وأغلقها بإحكام ، قبل أن يقول مرة أخرى بصوت مرتفع غاضب :

ـ لا توجد وسيلة واحدة للخروج من هنا أيها الصحفى .. الأبواب كلها مغلقة ، والأسوار عالية ، ولقد قتلت حارس المكان ، ولا يوجد مخلوق واحد على مقربة من هنا .

همست (نهلة) لـ (عصام) فى رعب :

ـ هل سمعت ؟! لقد قتل الحارسين !

أشار إليها (عصام) بالصمت ، هامسًا :

ـ إنه لا يستطيع رؤيتنا ، فلا تجعليه يهتدى بأذنيه إلى مخبئنا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت القاتل ، وهو يقول :

ـ معلومة واحدة نسيت أن تذكرها عن (شارب شوت ـ ١) أيها العبقرى .. أن منظارها لديه القدرة

على الرؤية فى الظلام ، بوساطة الأشعة دون الحمراء(★) .

انعقد حاجبا (عصام) بشدة ، وهمس :

ـ رباه !.. إنه يستطيع رؤيتنا إذن ، لو دخل إلى المكان .

كان القاتل يدير منظاره فى المكان بالفعل ، وهو يضغط زر الأشعة دون الحمراء ، فاصطبغ كل شىء أمامه بلون أخضر باهت ، ولكنه لم يلمح أى أثر لـ (عصام) و (نهلة) ..

وكان هذا يعنى بالنسبة إليه أمرًا واحدًا ..

أنهما داخل أحد المبنيين ..

مبنى الأطفال السكنى ، أو مبنى المشرفين الإدارى .

وفى حذر اقترب من المبنى الأوّل ..

وفحص مداخله ..

(★) الأشعة دون الحمراء : إشعاعات كهرومغنطيسية ، تقع أطوال موجاتها بين (٠,١) سم ، و (٧٥ ٠٠٠٠ و ٠) سم ، وتقسَّم إلى ثلاثة أنواع ، حسب طولها الموجى ، ومن أهم خصائصها نقل الطاقة الحرارية ، لذا فهى تستخدم فى التدفئة ، وفى التصوير فى الظلام ، والتجفيف ، وهى أشعة غير مرئية .

وتأكّد من أن جميعها مغلقة بإحكام ، فى انتظار حفل الافتتاح القريب ..

وهنا ابتسم فى ظفر ..

لم يعد أمامهما إذن سوى مكان واحد ..

المبنى الإدارى ..

ولأنه محترف ، دار القاتل حول المبنى أوّلاً ؛ ليتأكّد من أن كل نوافذه مغلقة بإحكام ، قبل أن يتجه إلى بابه ، ويهتف بظفر سادى شامت :

ـ أعلم أنكما هنا .

شهقت (نهلة) فى ذعر ، فانعقد حاجبا (عصام) ، وهو يتمتم :

ـ رباه !.. لقد كشفت أمرنا .

ثم جذبها من يدها ، وانطلق يعدو على غير هدى ، داخل المبنى ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها القاتل المكان ، وهو يطلق ضحكة وحشية مخيفة ، هاتفًا :

ـ ألم أقل لكما ؟! لا أحد يمكنه الفرار منى .

انطلق (عصام) و (نهلة) يصعدان فى درجات السلم فى ذعر ، وانطلق القاتل خلفهما بسرعة أقل منهما ، وهو يقول ساخرًا :

ـ والآن ما الذى يمكنكما فعله .. هل ستنتحران بالقفز من السطح ، أم تتلقيان رصاصاتى فى استسلام ؟

وقهقه ضاحكًا مرة أخرى ، وردَّدت الحجرات والممرات الخالية صدى ضحكاته القوية ، قبل أن يتابع :

ـ لا داعى للقلق .. أعدكما أنكما لـن تتعذبا طويلاً ، فرصاصاتى تنسف قلب الهدف فى ثوان معدودة .. ربما كان هناك بعض الألم ، ولكنه لن يستغرق كثيرًا بالتأكيد .

بلغ (عصام) و (نهلة) السطح فى تلك اللحظة ، فتلفَّتت هى حولها مذعورة ، وقالت :

ـ لا فائدة يا (عصام) .. سيظفر بنا حتمًا .. لا يوجد مكانٍ واحد يمكننا الاختباء خلفه .

تلفَّت (عصام) حوله فى توتر شديد ، قائلاً :

ـ المهم أن نجد ما نقاتل به على الأقل .

توقَّف بصره عند قطعة خشب طويلة ، من بقايا البناء ، يبرز من طرفها مسمار طويل ، فانحنى يلتقطها ، قائلاً :

ـ ابتعدى إلى ذلك الركن هناك .

سألته مذعورة :

ـ ماذا ستفعل ؟!

أجابها فى حزم :

ـ سأدافع عنك حتى آخر قطرة فى دمى .

حدَّقت فى وجهه لحظة فى دهشة ، لم تلبث أن تحوَّلت إلى نوع من الانبهار ، وهى تقول :

ـ (عصام) .. هل تعنى هذا حقًا ؟

أزاحها جانبًا ، وهو يقول :

ـ هيا .. ابتعدى .. لا وقت لهذا .

أسرعت تعدو إلى ركن السطح ، فى حين قبض هو على طرف قطعة الخشب بقبضتيه فى قوة ، وهو يرهف سمعه ، لالتقاط وقع قدمى القاتل ، وهو يقترب من السطح ، وصوته الساخر الشامت ، الذى يقول :

ـ لم أسمع جوابكما بعد .. لقد وصلتما إلى آخر المطاف .. هل تفضلان القفز أم الرصاصات ، أم ....

قبل أن يتمّ عبارته ، كان قد بلغ السطح بالفعل ، وعبر بابه ، فاستجمع (عصام) قوته ، وهوى عليه بقطعة الخشب ..

وانغرس المسمار الطويل فى صدر القاتل ، الذى جحظت عيناه فى ألم ، وأطلق شقهة عنيفة ، وهو يتراجع إلى الخلف ، فانتزع (عصام) المسمار من صدره ، بجذب قطعة الخشب ، وهوى بها مرة أخرى ، صائحًا :

ـ مت أيها الوغد .. مت .

ولكن القاتل استقبل قطعة الخشب بضربة قوية من راحة يده ، قسمتها إلى نصفين ، وألقت الجزء ذا المسمار بعيدًا ، فتراجع (عصام) فى دهشة لتلك القوة ، التى لم يكن يتوقَّعها ، فى حين أمسك القاتل جرح صدره بيسراه ، وهو يقول فى غضب أشعله الألم :

ـ إذن فأنت تميل إلى العنف أيها الصحفى .

قالها ، ووثب يركل (عصام) فى صدره بقوة ، مستطردًا :
ـ فلتحصل على بعضه إذن .
ثم وثب وثبة أخرى ، دار خلالها حول نفسه ، قبل أن يركله فى فكه ركلة أكثر قوة ، مضيفًا فى مقت :
ـ لعله يروق لك .
صرخت (نهلة) فى ذعر ، وأسرعت نحو (عصام) ، الذى سقط على ظهره أرضًا ، وسط مخلفات البناء ، فى حين صوَّب القاتل إليهما سلاحه التكنولوجى المخيف ، وهو يقول فى غضب :
ـ دعنى أعترف لك بالصبر والعناد والإصرار أيها الصحفى ، فأى شخص سواك لم يكن ليقاتل كل هذا الوقت ..
ورفع يده الملوثة بالدماء إلى عينيه ، قبل أن يضيف محنقًا
ـ ولكنك لا تجيد المهارات اللازمة للتصدّى لمحترف مثلى ، فالاحتراف باهظ الثمن ، ويجبر صاحبه على اكتساب العديد والعديد من المهارات .
وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :
ـ ولكن ما فائدة الحديث .. الوداع أيها المتحذلق ، ربما تدرك الآن أنك الخاسر الأوَّل هنا .
صرخت (نهلة) فى ذعر ، فى حين انعقد حاجبا (عصام) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..
لقد بدا من الواضح أنها النهاية ..
ودون أدنى شك .

★ ★ ★

٧ ـ الختـــام ..

فجأة ، وقبل أن يضغط القاتل زناد سلاحه الحديث بجزء من الثانية ، اندفع شخص ما عبر باب السطح المفتوح ، وانقضّ عليه فى عنف ، ودفعه أمامه ؛ ليسقط الاثنان أرضًا ، ويشتبكا فى قتال مدهش ، يشفّ عن مهاراتهما الشديدة ..
ولم يتبيَّن (عصام) و (نهلة) ملامح ذلك القادم الجديد ، على ضوء القمر ، ولكنهما حدَّقا فى ذلك الصراع العنيف لحظة ، قبل أن تهتف (نهلة) ، مشيرة إلى سلاح القاتل ، الملقى على مقربة منهما :
ـ انتظر يا (عصام) .. لقد فقد سلاحه .
قفز (عصام) من مكانه ، واندفع نحو السلاح ، والتقطه بحركة سريعة ، جعلته يفقد توازنه ويسقط أرضًا ثانية ، فهتف :
ـ لقد حصلت على السلاح .
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى رأى عددًا من الرجال يندفعون إلى السطح ، وينقضون على القاتل ، وسمع رجلاً يهتف بهم :
ـ ألقوا القبض عليه .. أريده حيًّا .

ولم تمض لحظات على هذا القول ، حتى أضيئت عدة مصابيح يدوية كبيرة رأى (عصام) و (نهلة) على ضوئها رجال المخابرات ، وهم يكبلون حركة القاتل الذى راح يصرخ فى غضب :

ـ مستحيل ! لا يمكنكم القبض علىَّ بهذا الأسلوب .. بل لا يمكنكم الوصول إلى هنا .

واندفع أحد رجال المخابرات نحو (عصام) و(نهلة) ، وهو يسألهما :

ـ أأنتما بخير ؟!

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يسأله بلهفة :

ـ كيف وصلتم إلى هنا ؟!

التقط رجل المخابرات السلاح فى عناية، وهو يبتسم قائلاً:

ـ الرجل محترف بحق .. لقد استخدم أسلوبًا يُعرف باسم التتابع العشوائى السريع ، حتى نفقد أثرك تمامًا ، ولكننا أيضًا محترفون ، وكنا نتوقَّع هذا الأمر إلى حد ما ؛ فلم يكن من المنطقى أن يلتقى بك فى مكان مثل (النيل هيلتون) ؛ لذا فقد تأهبنا لتتبعك ، وعلى الرغم من هذا فقد فقدنا أثرك منذ البداية ، إذ لم تخطر ببالنا فكرة استبدال الثياب والشارب المستعار ، إلا أنه من حسن حظنا أنك كنت تترك أدلة واضحة خلفك .. ثيابك وخطاب القاتل مع العامل النوبى ، فى دورة مياه الفندق ، والعشرات الذين شاهدوا نصف شاربك

المستعار يتدلّى ، وأنت تعدو فى شارع (قصر العينى) ، مما جعل تعقُّب أثارك ممكنًا ، والشىء الوحيد الذى جعلنا نتأخَّر فى الوصول إلى هنا ، هو أن أحدًا لم يلتقط رقم سيارة الأجرة جيدًا ، مما اضطرنا لجمع واستجواب ستة سائقين ، قبل أن نتوصَّل إلى السائق ، الذى حملك إلى بداية طريق (الإسكندرية) الصحراوى ، وبعدها كان استنتاج وجودك فى قرية الأطفال أمرًا منطقيًا ، وأتعشَّم أن نكون قد وصلنا فى الوقت المناسب :

ابتسم (عصام) فى ارتياح ، وتابع ببصره رجال المخابرات ، وهم يدفعون القاتل أمامهم ، وضمَّ خطيبته (نهلة) إليه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح يا سيِّدى .. لقد وصلتم فى الوقت المناسب تمامًا .

سالته (نهلة) ، ولم يتوقَّف جسدها بعد عن الارتجاف :

ـ (عصام) .. ما الذى يحدث هنا؟! أخبرنى باللّه عليك .

ضمها إليه أكثر فى حنان ، وهو يقول :

ـ سأخبرك يا عزيزتى .. سأخبرك بكل شىء ..

ولكنه اكتفى بهذا القول فى تلك اللحظات ، وضوء القمر يغمرهما ، على سطح المبنى الإدارى ، فى قرية الأطفال الجديدة ..

كان لدية الكثير ؛ ليرويه لها ولكن ليس فى هذه اللحظة ..

لقد لهث كثيرًا فى هذه القضية ، وكل ما يرغب فيه الآن هو أن يلتقط أنفاسه ..

وأن ينعم بقربها ..

فى ضوء القمر ..

وهى أيضًا لم تطلب منه الإفصاح عما لديه فى سرعة ..

كانت تفكر فى كل ما حدث ، وتستعيد فى سعادة عبارته لها ، بأنه سيقاتل من أجلها ، حتى آخر قطرة دم فى جسده ..

أما هو ، فلم يستطع منع نفسه من التفكير فى مقاله القادم ..

المقال الذى سيكشف لـ (مصر) كلها سر البطل المجهول ، الذى انبهر به الملايين ..

البطل الذى كان أشهر مجهول عرفته (مصر) ..

ذلك المقال الذى سيحدث ضجة كالمعتاد ، وسيحمل التوقيع نفسه ، الذى تحمله كل مقالاته وتحقيقاته منذ زمن طويل ..

توقيع (ع × ٢) .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥٤

٠٣٧٦٩

مغامرات ع × ٢

سلسلة أفلام بوليسية مثيرة للشباب
تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

د. نبيل فاروق

قضية الرجل الغامض

- من ذلك الزعيم المجهول ، الذى يختفى خلف القضية الجديدة ؟!
- كيف يكشف (عصام) وحده سر البطل الغامض، على الرغم من كل ما يحيط به من مصاعب ؟!
- ترى هل ينكشف اللغز هذه المرة ، أم يتواصل البحث عن سر (الرجل الغامض) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واحبس أنفاسك مع الغموض والإثارة و .. (ع × ٢) .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ ش [illegible] عابدين - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

الثمن فى مصر ١٢٥ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

القضية القادمة : قضية ذيل الطاووس